

جامعة الدول العربية
الإدارة الثقافية

مسرحيات شكسبير



ضجة فارغة

ترجمة: عباس حافظ



دار المعارف



Bibliotheca Alexandrina



0148457

مُتْرَحِیَاتِ شَکْسِیَہ

جامعة الدول العربية
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة

ضجة فارغة

ترجمة
عباس حافظ

مراجعة
محمد بدران
شفيق غربال

الطبعة الثانية



الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

كلمة الناقل

أسلوب شكسبير في قصصه المأجنة

لم يكن شكسبير حين كُلفت نقل قصة منه غريباً عنى ، فقد قرأته على عهد الشباب ، كما يقرأ الشاب الكتاب خطفاً ، ويستعجل خاتمته شوقاً ولهماً . وعدت أقرؤه في المشيب ، بتدقيق وتروٍّ ، وأمضى في قراءته ، على مكث ، لأن نظرة الشيخ عن لحظة الشباب ، مختلفة . فلا عجب إذا وقعت اليوم فيه على معان لم أقع من قبل عليها . ورأيت يتجدد في خاطري ، أبلغ مما بدا ، والنظرة عجلي ، والحماسة له مسرعة ، والإعجاب به لا ينتظر كل العلم ، ولا يقف حتى تتم المعرفة .

وكنت قد أدركت في الشباب أن قصصه المحزنة ملأى بمواقف للحكمة ، ومواطن للفلسفة ، ومشاهد لقوة الكلمة ، وسلطان البيان . وأن المأجنة منها مفعمة مزاحاً ، مترعة طرائف وألاعيب وأفراحاً . فهى دون الأولى براعة وأقل منها حدقاً . فلما تناولت إحداها لنقلها ، وجدت القوة في النوعين مؤتلفة ، وتبين لى أن نقل مأساة أيسر لمن أوتى روعة العبارة ، وسعة اللفظ وقوة التصوير . لما في القصة المأجنة من ضروب هزل تختلف كثيراً عن مثلها في العربية ، وأساليب دعابة ، وألوان بديع ، تأبى على الناقل .

رأيت هذه القصة مليئة جناساً ، من كل نوع ، حتى في اختلاف النطق ، وتباين التهجية ، وأصعب شيء أن تنقل جناساً في الإنجليزية ، إلى مثله في العربية ، وتحفظ بالتمائل المراد فيهما ، والتشابه اللفظي بينهما ، فلا معدى لك من محاولة التقريب ، أو إن شق عليك ، من شرح العبارة للقارئين .

ورأيتها كذلك قد ازدحمت بفنون من « التورية » ، وهي لا تكاد تنقل إلى العربية لاستحالة التماثل فيها بين اللغتين . كما كثر فيها التلميح لأمثال قديمة أو أساطير غابرة ، أو عبارات مقتبسة من كتب ، أو أبطال خرافيين .

وقد عانيت كثيراً في ذلك كله . وعانيت بالهوامش والشروح قدر عنايتي بالمتون ، ولم يسعني الشراح في بعض الأحيان ، لأن عبارات بأعيانها أعجزتهم ، أو استغلق المعنى الحقيقي فيها عليهم . فاجتهدت في حل ألغازها مع المجتهدين .

وتكاد هذه القصة تدنو من « المأساة » أو القصة المحزنة لأنها قائمة على « آهام » بريئة ، وفضيحة عروس وهي أمام المحراب توشك على زفاف . وليس عجباً أن يختلط فيها العنصر الجدى بالعناصر الفكاهة ، لأن ذلك هو ما فعله المؤلف في أكثر من قصة هازلة ، ونحن أبدأ من شكسبير في عجب عجب ، فهو لا يضع رواياته مصنفة التصنيف الذي عرفناه ، بين مسلاة ، وملهاة ، ودراما ، أو ميلودراما ، عند المؤلفين

الذين سبقوه ، كميناندر وبلوتاس أو الذين جاءوا من بعده مثل كالديرون أو مولير . أو كونجريف أو شريدان ، بل نحسب كل ملهاة أدنى ما تكون إلى الحزن أو ألم القلب ، أو أحياناً إلى القلب الكسير ، فهو كذلك في قصته « كوميديا الأخطاء » ، وهو أيضاً على هذا النحو في « جهد حب ضائع » و « الليلة الثانية عشرة » .

ولكننا في كل هذه الروايات الفكهة لا يخامرنا، لحظة ، الشك في أن النهاية ستأتى سعيدة ، والحوادث ستعود موفقة حسنة . وهذا هو ما نلمسه من بداية قصتنا هذه . فليس ثمة مخادعة تضللنا ، ولا خطأ يواجهنا ، ولا مباغطة تبدهنا قبل أن نستعد لها ، ولا أزمة نجعل سرها كما يجهلها أبطالها . بل كل أكلوبة تقال نعرفها قبل سماعها . ولا نشك في أنها ستُكشف وتبدو مع السياق حقيقتها . ففي قصة الكيد الذى كيد لخير و تبدو الحوادث في ظواهرها محزنة ، ويراهنا أشخاص القصة أنفسهم كذلك ، أما نحن الذين نعرف دقائقها ، فلا نجعل أنها لا تزال في الدائرة التي تستمد منها « المسلاة » مادتها . لأن المأساة هنا تأتي إلينا بعد استعداد تمهيدى لها ، فلا يصاحبها انفجار فجائى ، ولا يقتضى الموقف خاتمة مخففة من وقعه ، كما يحدث في أحد فصول « تاجر البندقية » .

ويصح لنا هنا أن نصف قصتنا هذه بقولنا إنها قصة تدور حول « مخادعة النفس » ، لأن شخصيتين فيها ، وهما بياتريس وبنيديك يظلان محاولين معرفة قلوبهما ، وكشف خبيثة عاطفتيهما . وفي هذا النوع

من المسرحيات لاغنى للمؤلف عن البدار إلى تعريف النظارة بالأمر ليكونوا طيلة الوقت أعرف به من أشخاصها. وقد عرفنا من مطالعها فعلاً أن بياتريس تحاول جاهدة إخفاء عاطفة صادقة ، فلا نلبث أن نحس أن هذه الساخرة المتهمكة العابثة لن تمضى في عبثها إلى النهاية ، بل ستقلب إلى الجذ ، وترفع الستر عن خدر حبها الدفين .

وإذا نحن تذكرنا هذا كله ، استطعنا أن نفهم نقد الشاعر كولريدج لشكسبير من ناحية عنصر « الحادثة » في رواياته ، فهو القائل : « إن كل اهتمامنا بالحادثة عند شكسبير منصب على الأشخاص ، لا عليها بالذات ، كما هو الحال في روايات الكتّاب الآخرين جميعاً . فليست الحادثة عنده إلا قطعة من قماش يرسم عليها أشخاصه ، ومن هنا ينهض الشفيح له في رسم شخصيتي بياتريس وبنيديك من نسق واحد وإبرازهما متماثلتين في نزعة الغرور والكبرياء ، وإذا أنت نزعته من هذه القصة كل ما هو تزيد ظاهر ، وحشو لا ضرورة له ، أو ليس ثمة حاجة بالغة إليه ، أو على أحسن الفروض ، شخصيات الشرطي وزملائه الذين أدخلوا عليها افتعالاً ، وكان أقل منهم غباء كأشرط وحراس وافين بالغرض ، فإذا بقي بعد ذلك فيها .

لقد شهدنا في روايات الكتّاب الآخرين أن المحرك الأكبر في « الحادثة » أو « العقدة » هو دائماً البطل أو الشخصية البارزة ، أما عند شكسبير فليس الأمر أبداً كذلك . وقد يكون أحياناً كذلك . أى أن

الشخصية ذاتها هي التي تتألف الحادثة منها ، أو قد لا تتألف . فقد جعل شكسبير « دون جون » في هذه القصة الأصل في الحادثة ، ولكنه جاء به عارضاً ، ثم سحبه فلم يعد يسوقه إلينا وإن بدا العنصر « الشرير » فيها . وتركه شكسبير بغير مبرر للشر الذى ينزع إليه ، أكثر من وصفه بأنه أخ غير شرعى للأمير ، وشخص سوداوى حاقد مريض العاطفة . وعجيب من الشاعر الذى خلق لنا بعد ذلك شخصية « ياجو » في رواية « عطيل » أن يدع « دون جون » بغير دافع ظاهر ، أو شفاعاة واضحة . والظاهر أن النقاد لم يفهموا شخصية « بياتريس » على حقيقتها . لقد وصفها الشاعر « كاميل » بأنها « مستهجنة » . وأن المرأة الطبيعية لا يمكن أن تكون كذلك . ومن قبله ذهبت كاتبة تدعى « مسز أنشبالد » تقول : « لو كان عند بنيديك وبياتريس أدب ، أو ذوق ، أو رفعة خلق ، وأبيا أن يسترقا السمع على غيرهما ، لجمدت القصة في مكانها ، أو لاقتضت طريقة أخرى للسير بها في مجرى صالح » .

ولم نكن نرتقب من « جول ليمتر » النقادة الفرنسى الكبير أن يسير في هذا الطريق ذاته ، فيقول عن بنيديك وبياتريس إنهما « لا يطاقان » بل همجيان يرميان إلى الترائى بالمجون والذكاء ، و « حيوانان ماكران » . . ولكن الرد على هؤلاء النقاد يسير ؛ وهو أن شكسبير في مطارحات الحب يجرى على طريقة واحدة ، في مختلف مسرحياته ، وهى طريقة « اللف والدوران » أو الاستخفاء . فقد اتخذها في « جهد حب ضائع »

وفي « عطيل » ، بل أيضاً في « روميو وجولييت » حين جعل الشرقة فاصلاً بينهما ، ولا يمكن أن يفوتنا من بداية قصتنا أن بياتريس امرأة . وأنها ينبغي أن يُظفر بها ، بل لا نتصور لحظة واحدة أنها قد قُدر عليها أن تجلس في ناحية باكية والهة منادية « ألا من زوج . . ألا من زوج ! » فإن كل نكاتهما الساخرة تلور حول هذا الأمر بالذات ، كما لا يفوتنا من البداية أن « بنيديك » هو الرجل الذي تريده وأنه الفتى الذي قُدر لها أن تحبه .

وليست مِجانتهم في الواقع إلا مجانة شكسبير نفسه ، ولو جردنا أنفسنا من « الوثنية » ، أو عبادة العبقرية ، عند التحدث في أبلغ مراتب الإعجاب عن شكسبير لأقررنا أن مجونه ، كما يبدو على ألسنة شخصياته المضحكة ، ومهاذير قصصه ، كان المادة التي تتألف منها الأساليب الشائعة في بلاط الملوك على عهده ، ومجالس الأشراف والعلية في زمانه . ولنتصوّر فتى من الريف تلوح عليه مخايل الذكاء ، أو بواذر العبقرية ، جاء إلى لندن ليحجرب فيها حظه ، فإذا هو يجد لهجة الكلام بين السادات ، وأهل البلاط ، وعلى المسرح الملكي ذاته ، ملأى بفنون « التورية » و « الجناس » والكلام المنطق ، فلا غرو وهو الفتى المتلهف على الظفر بمكانة مرموقة إذا هو التقط هذا النوع من الكلام ، وراح يحذقه ويبرع في فنونه ، ويملاً مسرحياته الفكهة بأعجب ألوانه .

ولسنا ننكر أن في مطالع هذه القصة التي نقلها شيئاً من التنكيت

« الرخيص » . ولكن إذا نحن نفيناها منها ، أو « غربلتها » ، وراعينا أن بياتريس وبنيديك لم يكن بينهما غير « مراشقات » بالنكت ، وقفنا عند مشهدهما وهما يكشفان عن قلبيهما الصادقين عقب انصراف الجمع من الكنيسة ، أدركنا مدى التأثير الذى يتجلى من خلال ذلك التظاهر بالسخرية ، واصطناع الاستهزاء المتبادل بينهما .

ويُروى أن جماعة من الأطفال والولدان شاهدوا هذه الرواية تمثّل على المسرح وكان أحد الممثلين القديرين يؤدى دور « بنيديك » ، فاما انتهى التمثيل وصحب الأطفال إلى المحطة أحد مدرسيهم ، وقفت صبية فوق الإفريز ورفعت صوتها ، كأنها من فرط السرور فى غيبوبة ، قائلة : « لا يتصور أحد رجلاً بديعاً على هذه الصورة . . . » وهى شهادة توحى بأن أحسن ما فى شكسبير لا يزال شيئاً يستطيع الطفل أن يقرأه ، أو كما قال الأديب « تشارلس لام » : « درساً مليئاً بكل خيال بديع ، ورأى جميل ، وفعل نبيل . . . »

ولا نستطيع أن ننسى أن لهذه القصة بالذات مزية انفردت بها عن سائر المسرحيات الأخرى التى كتبها الشاعر ، وهى أنها من أولها إلى آخرها إيطالية . وأدنى ما تكون من روح النهضة أو البعث الأدبى الذى ظهر فى الغرب بعد القرون الوسطى ، حتى لتجد كل أشخاصها يتكلمون من « الكتب » ، وهم جميعاً قراء حتى النساء منهم ، أو على الأقل « بياتريس » فهى قد قرأت « المائة نادرة » ، وبنيديك فهو يتحدث عن « لياندر » ،

و « ترويلاس » وينظم شعراً . وكلوديو شاعر كذلك ، فهو ليعلقها على قبر الفتاة المسكينة التي قتلها بقسوة تهمة .
ولم يكن مفر لشكسبير ، وقد أبرز روح تلك النهضة الماجن ، من اقتباس الغدر الإيطالي ، فجاءنا بشخصية « د والمكيدة التي دبّرها للفتاة ، ولقد أُلِفَ شكسبير تكرر نفسه في فهو يردد أشياء في هذه ، كان قد جاء بمثلها في تلك ، مع تنويع ينفي الملالة ، ويحفظ الجدة . فلا يمكن أن يقال إن هذا الـ دليل نقص في الخيال ، أو عوز إلى الابتكار ، ولكنه في الو ثروة ، أو مراجعة حساب ، وهو لا يأنف أن يستعير حادثة من أ أو أى إنسان ، كأنما يقول « أعطوني » قصة إيطالية ، أو أفلوطرخس ، أو نادرة من أساطير الهند ، وأنا أصطنع لكم منها ، أو « هملت » ، أو « روميو وجولييت » .

وهكذا نرى هذه القصة ملأى بالأصدية ، ونشهد أصد في آفاق غيرها من قصصه ، فليست شخصيتا بياتريس وبنبي صورة أخرى من « بيراون وروزاليند » ، كأنما قد مضى الشاء من كيس نقوده ، ويأخذ من حرّ ماله ، ويهب منه أبطاله ، بخياله ، ويتقدم إلى الخلود مؤمناً بأنه الجدير به ، الظاهر من البشر باق على الزمان . . .

عباس -

حياة شكسبير

كتب خلق كثير عن حياة شكسبير ، واختلف الرواة فيها أيما اختلاف ، ولست أريد أن أعرض لهذا كله ، أو أتقصاه من جميع جهاته ، ولكنى سأجترئ هنا بالوقائع الثابتة . والأحداث المحققة ، فلا أتحدث عن آبائه الأولين . فإن هذا الاسم « شكسبير » كان شائعاً في القرون الوسطى مدوناً في عدة أقاليم من الجزيرة البريطانية وكان قومه من الفلاحين ، فهو فلاح من سلالة زراع وحرث يعملون في الأرض ، والظاهر أن أباه « جون شكسبير » كان أخا نعماء - وصاحب شأن ، في استراتفورد ، وتزوج « بمارى أردن » وهى فتاة ورثت عن أبويها أرضاً ودوراً ولكنها لم تتلق شيئاً من العلم وقد شوهدت بصمتها في عدة وثائق . ولم يثبت أنها كانت توقع باسمها . وكان « وليم » ثالث ابن رزقاه . وأكبر الأحياء من أولادهما ، بعد وفاة أخويه الأولين : وكان مولده في شهر أبريل عام ١٥٦٤ بقرية « استراتفورد » القائمة على ضفاف نهر إيفون . وكان أبوه يومئذ في أحسن حال . وأرغد عيش ، ولم تكد تنقضى على مولد « وليم » ثلاثة أشهر أو نحوها ، حتى تفشى الطاعون في القرية ، وأخذ يحصد أهل الفاقة من بينها حصداً . فأقبل أبوه على إنقاذ الناس من هذا الشر المستطير كريماً سمحاً غير ضنين ولكنه بعد بضع سنين غرق في الديون ، وأحاطت به المتاعب ، فاضطر إلى رهن عقار زوجته ، وانصرف عن الاشتغال بالشئون البلدية والقروية في إقليمه .

طفولته وشبابه

وما لبث أن واجهته نفقات تعليم أولاده « وهم خمسة » ثلاثة صبيان .
وابنتان أصغر سنّاً من ولیم ، وكان الصبية يستحقون التعليم في المدرسة
الأولية بغير نفقة فادخلوا فيها ، ولبسوا يتلقون مبادئ في اللاتينية ، والنحو
والصرف ، والأدب وتواتي لولیم فيما بعد شيء من علم الفرنسية ، فانتفع
به في روايته التاريخية « هنري الخامس » ، ولكنه لم يقض وقتاً طويلاً في
المدرسة ، لتدهور أحوال أبيه . وحين بلغ الثالثة عشرة ، بدأ يشتغل
« قصاباً » وهي الحرفة التي أصبح أبوه يعتمد عليها في كسب قوته .

زواجه

وكانت تقوم على مقربة من استراتفورد دار ريفية معروشة السقوف ،
لا تزال تعرف باسم « كوخ آن هاتاواي » ، وكان يقيم فيها آل هاتاواي ،
إلى عام ١٨٣٨ وكان ريتشارد هاتاواي والد « آن » غنياً ، فلما قضى نحبه ،
ترك ضيعة ورثها عن آبائه الأولين ، فتولت رعايتها من بعده أرملة وأكبر
بنيه . وكان نصيب كل بنت من بناته لا يتجاوز ستة جنيهات وثلاثة
عشر شلناً وأربعة بنسات ، وهو ما يساوي نحو مائة وستين جنيهاً في
أيامنا هذه .

وقد تزوج شكسبير بالفتاة « آن » حين تجاوز الثامنة عشرة وكانت أكبر منه بعدة سنين ، إذ كانت يومئذ تبلغ السادسة والعشرين .
ولا يحدثنا التاريخ كيف كان قرانهما ، على هذا الفارق في العمر ، ولا كيف كان عيشهما ، ولكن الثابت أن حياتهما لم تكن هنية رغيدة وقد رزقا بنتين وولداً .

حياته الأولى

ولئن رأيناه يقول عن آن . . . إن لأن هاتاواى ، وما أدراك من آن هاتاواى ، سبيلا لفتنة القلوب ، وسحراً يجتذب الأفتدة . . . فقد عجزت عن كبح جماحه ، أو قص جناحه ، أو رده عن هواه ، فقد مضى يلهو بين أهل قريته ، ولم تقنعه صنوف اللهو المألوفة في محيطه ، فانطلق يختلط بقرناء السوء ، وشرار الصحب ، ويُسْغِر على أماكن الصيد التي يملكها أهل اليسار والسلطان ، فيسرق الغزلان ، ويصطاد الأرناب ، حتى اضطُر في النهاية إلى مغادرة القرية ، وهجرة الأهل والتزوج عن البيثة التي نشأ فيها عدة سنين .

وقد اعتدى على حدائق السير توماس لوسى في شارلكوت أكثر من مرة في تلك الأيام ، وكانت العقوبة يومئذ لا تقل عن الحبس ثلاثة أشهر ،

ودفع غرامة تقدر بثلاثة أمثال قيمة التلف الذى أحدثته فلم يلبث أن اشتد حقه على ذلك الوجه فراح يثار منه بأبيات من الشعر علقها على أبواب حدائقه ، وهى فعلة أثارت عليه غضب ذلك الكبير . وطالب بمزيد من العقاب ، فلم يسع شكسير سوى الفرار إلى لندن فى عام ١٥٨٥ للبحث عن عمل يسد منه أرماقه .

حياته فى لندن

وتختلف الروايات بسبيل محاولاته الأولى عند قدومه إلى لندن ، ولكن الثابت أنه لم يلبث بعدئذ أن اتجه إلى مهنة الممثل ، ويقال إنه بدأ يؤلف روايات تمثيلية ، أو يقتبس أخرى من الكتاب ، ويعيد صياغتها . ويحور فى ألفاظها وعباراتها ، ثم يعرضها على الفرق التمثيلية ، فتشترىها ، وتنقل ملكيتها من يده . وكان من عادة مديرى هذه الفرق إحالة الروايات على المراجعين قبل عرضها على المسرح ، وهذا ما حدث لروايته الأولى « جهد حب ضائع » التى يغلب على الظن أنه وضعها فى عام ١٥٩١ ، فقد رجعت عام ١٥٩٧ ونُشرت فى العام التالى باسمه . وكانت هذه هى أول مرة يبدو فيها اسمه منشوراً على صدر كتاب من قلمه وتأليفه . والظاهر أن حوادنها لم تقتبس كأكثر مسرحياته من قصة قديمة أو كتاب سابق . كما يبلو

في روايته « روميو وجولييت » (١٥٩١ - ١٥٩٣) وهي مأساته الأولى ، فقد توالى اقتباس قصتها عدة مرات منذ وُضعت في القرن الثاني قصة « أنتيا وإبروكوماس » في اللغة الإغريقية ، وكانت معروفة في طول أوروبا وعرضها ، وتكرر ظهورها نثراً وشعراً عدة أجيال .

أما قصة تاجر البندقية (١٥٩٤) فقد رجع فيها إلى عدة مصادر . من بينها مجموعة قصص إيطالية كُتبت في القرن الرابع عشر ومن المرجح أن تكون أكثر مسرحياته قد استغرقت زهاء عشرين عاماً من عمره ، أو بين السابعة والعشرين والسابعة والأربعين أى بمعدل روايتين في العام .

أهل السلطان الذين رعوه

وكان له بين الأشراف راع يدعى « الأزل أوف سلوتامينون » وقد وجه إليه كثيراً من أغانيه ، وإن لم يذكر اسمه صريحاً ، كما أبدت الملكة « إليزابث » نحوه شيئاً من العطف في عام ١٥٩٤ وطُلب عقب تتويج الملك جيمس الأول للتمثيل في حضرته وكان تمثيل رواية « العاصفة » ولعلها آخر ثمار عبقريته بمناسبة قران الأميرة إليزابث بالأمير فردريك عام ١٦١٣ .

عودته إلى استراتفورد

وما كاد يتنصف به العمر حتى بدأ يهدأ ويتدبر مطالب الحياة ، ويسعى جاهداً في معاودة العيش في العشيرة ، والإخلاء إلى الحياة المنظمة ، فعاد إلى استراتفورد ، بعد هجرتها أحد عشر عاماً ، وإن ظل يزورها مرة على الأقل في كل عام ، فاشترى في عام ١٥٩٧ أكبر بيت في القرية لقاء ستين جنياً . وكان للبيت مخزان للغلال وحديقتان ، فعكف على إصلاحه ، وعنى بالحديقتين ، ولعل هذا القدر اليسير من المال الذي اشتراه به يساوي اليوم ١٥٤٠ جنياً . وقد سُمي يومئذ « المكان الجديد » وجعل الناس يدعونه قرية « الغني الوجيه » . وزاد في نفوذه أنه استعان بأبيه على الظفر بشعار النبالة ، وأصبح معدل إيراده السنوي من التمثيل والتأليف المسرحي كبيراً . وعندما تم تشييد مسرح « جلوب » في عام ١٥٩٩ بدأ يتلقى حصة من أرباحه ، فارتفع إيراده إلى مائة وثلاثين جنياً أو ما يساوي اليوم نحو ثلاثة آلاف ، ثم نما على الأعوام أيضاً ، فأصبح رب ضيعة كبيرة وكان مولعاً بالقضايا كثير الدخول في المنازعات أمام المحاكم . وكثيراً ما كان يخرج منها كاسباً موفقاً .

في أخريات أيامه

وقد أخرج أحسن رواياته في تلك الفترة السعيدة من حياته وهي جميعاً قصص مرحلة خفيفة الظل ، ثم تلتها بعد عام ١٦٠٠ ثلاث أخرى يغلب الجلد عليها وهي يوليوس قيصر ، وهملت ، وعطيل . وفي عام ١٦٠٦ أتم « مكبث » ثم « الملك لير » التي مثلت في بلاط « هوايت هول » خلال شهر ديسمبر عام ١٦٠٦ .

والظاهر أنه انصرف عن التأليف للمسرح بعد عام ١٦١١ . وليث مقيماً في استراتفورد أكثر أيامه .

وبدأت صحته تعتل في بداية عام ١٦١٦ . ولكن لا يعرف أحد أسباب وفاته وكان ابنه الأوحد « هانمت » قد قضى نحبه قبل ذلك بعدة سنين ، وقد ترك من بعده زوجه وابنتيه « سوسنة هول » و « جوديث كويني » . وكانت منيته في الثانية والخمسين . ودفن في كنيسة استراتفورد وكتبت على قبره أبيات من شعره البديع .

مقدمة المسرحية

مصادر القصة

من أين استقى الشاعر موضوعه

تحتوي هذه المسرحية المرححة حادثين ، أولهما يتصل بثلاثة أبطال ، وهم « هيرو ، وكلوديو ، ودون جون » ، ويكاد هذا العنصر يبدو جاداً في جملته ، لا فكاهة فيه ، والآخر مرح كله ، ويتصل بشخصيتين بديعتين ، وهما « بياتريس » و « بنديك » . وإلى جانب هذين القسمين ، عنصر إضافي ثالث تسرى الفكاهة في جميع نواحيه . وهو يدور حول شرطى عجيب يدعى « دوجيرى » وصاحب له يسمى « فارجس » والحراس الذين يعماون بإمرتهما ، ويكشفون المكيدة التي كادها الحقاء لآتهم « هيرو » العذراء بالخيانة والإثم . ولو حذفنا هذا العنصر الفكاهي من القصة ، لفقدت خير ما فيها من متعة . وجردت من أبدع ما احتوته من فكاهة .

وقد استقى شكسبير موضوع المسرحية من مصدرين هما :

١ - قصة سان تمبريو دي كاردونا التي حوتها مجموعة قصص كتبت في اثنين وعشرين جزءاً ، وطبعت باللغة الإيطالية عام ١٥٥٤ لمؤلفها « ماتيو بانديللو » أسقف آجن .

وكانت قد دُرِّجَت إلى الفرنسية في عام ١٥٨٢ واشتهرت في عهد شكسبير وأكبر الظن أنه عرفها ، أو ظفر بنسخة منها في الإنجليزية ، فقد نُقِلَت إليها في أيامه أو قبيل ظهوره .

وليس من شك في أن موضوع هذه القصة التي نقلها للعالم العربي مأخوذ من قصة « سان تمبريو » لتشابه الحوادث فيهما ، وإن كانت القصة القديمة قد جرت أحداثها في « ميلانو » . وهذه في مسينا ، كما تماثل اسم البطلة في القصتين وهو ليوناتو وورد في الرواية الإيطالية كذلك اسم « دون بدرو » ملك أرغونة . ويبدو أن شكسبير حذف شخصيته في القصة القديمة ، وهي زوجة ليوناتو ، وأم هيريو أو أنه أوردتها في بداية الفصلين الأول والثاني ولكن إدارة المسرح أغفلتها ورأت ألاَّ ضرورة لها .

والواقع أن عشر بطلات في روايات شكسبير جئن فيها بغير أمهات ، ونعني منهن « بياتريس » و « هيريو » في قصتنا هذه ، وكورديليا وديدمونة وأينوجن وإيزابيلا وميراندا وأوفيليا وبورشيا وروزالند .

وفيما يلي الحوادث التي استقاها شكسبير من بانديللو :

- ١ — طريقة الوساطة في خطبة كلوديو لهيرو .
- ٢ — فسخ الخطبة في اللحظة الأخيرة والعروسان أمام الهيكل .
- ٣ — مخادعة بوراشيو لكلوديو وتضليله .

٤ - إغماء هير و وادعاء وفاتها .

٥ - زواجها من جديد .

٢ - قصة « أريودانت وجنيفره » التي نقلها إلى الإنجليزية السير هارنجنون في عام ١٥٩١ من الجزء الخامس من قصص « أريوسطو » وهو الجزء الخاص برواية « أورلاندوفير ويوزو » ، وكانت قد ظهرت لها ترجمة قديمة في عام ١٥٦٥ . ولكن لا نحسب شكسير اطلع عليها أو استمد منها موضوعه .

ولم يكن اقتباسه منها كثيراً . فقد أخذ حكاية اختباء كلوديو في الحديقة ليطلع بعينه على خيانة حبيبته ، كما استمد تمثيل مرجريت لدور « هير و » إفكاً و بهتاناً .

أما المكيدة وشخصيتا بياتريس وبنديك ، ومحاوراتهما البديعة ومواقفهما الممتعة ، وأدوار « دوجبرى » ، وصاحبه والحراس والمشاهد الفكهة التي حوتها القصة فهي جميعاً من مبتكر الشاعر العبقرى ووحى خاطره الخصيب . . .

أبطال القصة

يجسن قبل أن يبدأ المرء قراءة القصة أن يعرف شيئاً عن شخصيات أبطالها ، والصلة بينهم ، ومعالم أخلاقهم ومنازعهم حتى تتفتح له فصولها . ويسهل عليه متابعة مشاهدتها ، وما نحسب أحداً يجد روحاً إلى حديث إنسان ، أو سكوناً إلى مجلسه ، إذا لم يؤت علم شيء عن ماضيه ، أو حاضره ، أو مكانه من الناس .

ونحن هنا محاولون أن نرسم معالم الأشخاص ، في غير استطراد ، تاركين القصة ذاتها تتكشف لهم عند التثقل بين مشاهدتها المتابعة .

مدار الأحداث

تدور القصة حول واقعتين غراميتين ، يصبح أن تُعد كل واحدة منهما منفصلة من الأخرى . وإن اختلطتا ، وتربطتا ، لأنهما مختلفتان اختلافاً بعيد المدى ، حتى لتستمد كل واقعة من تناقضها والأخرى قوة وتزداد تأكيداً ، وليس من شك في أن أهمهما شأنًا ، بلحد موضوعها وخطر أمرها ، هي حب كلوديو وهيرو ، فهى تبدأ « غراماً » ثم تكاد تنقلب إلى مأساة ، قبيل أدوارها الختامية ؛ وأما الأخرى ، وهى غزل يبدأ

سخرية ، ثم يتطور حتى ليرأى أشبه بكراهية ويتخلله مجون ، ومطارحة
يعبث ، واستهزاء ، ثم ينتهى هو أيضاً بحب وإعلان ، بعد مداراة وكتمان ،
ثم إلى زفاف وقران .

ولا ريب في أن كلوديو ، هو البطل الأول ، فلا معدى من إحلاله
في الطليعة ، عند رسم شخصيات الأبطال .

كلوديو

هوفتى من فلورنسا أصاب حظوة بالغة عند دون بدرو أمير أراجون ،
فهما لا يكادان يفترقان . حتى لقد أحفظت هذه الخطوة أختاً للأمير
يدعى « دون جون » وجعلته يعتقد أن هذا الفتى قد قام على أنقاضه .
وأكبر الظن أن هذا التوفيق الذى أصابه كلوديو أثار في نفسه شيئاً من
الاعتداد بنفسه ، حتى بدا شديد المخافة على كرامته ، يخشى أن يتأذى
كبريائه من أقل باذر ، فلم يكذب يوحى دون جون بأن هذا قد غدر به
وراح يطلب القتاة لنفسه ، حتى اصطنع الاستخفاف بالأمر ، ليخفى
الجرح الذى أدى كبريائه ، قبل أن يمس حبه ، وحين عاد هذا الذى
ينفس عليه مكانه عند أخيه يحدثه عن خيانة « هير و » ثار لكرامته ، ولم يترىث
حتى يتأكد الحق . ولكننا لم نلبث أن رأيناه حين حصحص الحق ،
يعترف بخطئه . ويرتضى أى عقاب يُفرض عليه تكفيراً واستغفاراً من فعلته.

ويبدو من سياق القصة في فصلها الأول أن حبه للفتاة لم يأت فجأة ولكنه نما في نفسه رويداً . وإن لم ينبعث في حماسة إلى إظهاره لها . كما لم يبد كسير الفؤاد حين مضى يستمع للوشاية بها ويصدق قول الواشي ؛ وكان المرتقب أن يثور عليه ويطالبه بإثبات قوله . ولكنه غضب على الفتاة وأقسم أن ينتقم منها . بل لم يُبد شيئاً من الأسى حين تم له ما أراد من الثأر . فقد اكتفى به ، وطلب إلى بنيديك أن يطرد بالمجنون الهام عن نفسه . ولكن ذلك كله على غرابته ، لا ينفي أنه أحب الفتاة حباً بالغاً لم يحل دون إظهاره غير اعتداده الشديد بنفسه .

هــرو

رسم شكسير شخصيتها على النقيض من ابنة عمها ، فهي تبلو حيلة منطوية على نفسها . على حين تلوح الأخرى برزة مستقلة فصيحة ناجحة كأن كلا منهما تبرز بهذا التناقض شخصية صاحبها . ولكننا نحس دائماً وجودها ، وإن أقلت من الكلام ، ونستشعر وقارها وحشمتها ، ولا يقع كلامها على قلته قليل الخطر ، بل يكسب الإعجاب به على إيجازه ، وهي لا تخلو من ذكاء ومجانة ، كما بدأ في تنفيذها حيلة أنفق عليها لحمل ابنة عمها على الرضى عن صاحبها الذى سلطت عليه النكات اللاذعة وبادلته السخرية المريرة ، وقد شهدناها حين شهر خطيبها بها

فى الكنيسة على رؤوس الأشهاد ، تلوذ بالصمت ، على فرط اضطرابهما
للهمة النكراء التى رُميت بها ، فلم تفتح فمها لتدافع عن شرفها إلا قليلا ،
حيال غضبة أبيها وثورة نفسه ، ولم تظهر عقب إغمائها إلا فى المشهد
الأخير حين ثبتت براءتها ، وفى هذا الموطن رأيناها تصفح عن « كلوديو »
من أعماق قلبها ، ولا توجه إليه كلمة ملام واحدة .

بنيديلك

فتى من المحسوين على الأمير وأصحاب حفاوته . وقد صورته شكسبير
تقيضاً لكلوديو ، كما بدت ميرو تقيضة لابنة عمها ، وإنه ليشق على المرء
تحديد شخصيته مما كان الآخرون فى القصة يقولونه عنه ؛ فإن نحن
سمعنا للذعات « بياتريس » وغمزاتها ، أسأنا بعض الظن وإن نحن تدبرنا
مديح الأمير له ، عجبنا لها كيف قست عليه إلى هذا الحد .

ويأوح لنا أن تظاهره بكراهية النساء مرجعه إلى شىء فى خليقته ألفت
السكون إليه ، وهو « العادة » حتى لقد قال عن نفسه إنه الجبار المشهود
له بالقسوة عليهن ، وإن كان قد أقام فى الواقع فارقاً ظاهراً بين رأيه
الصادق الخالص وبين الفكرة التى أعلنها وادعى احترافها ، وأشهد الناس
عليها ، وقد رأيناه يوحى إلينا بكلامه أنه لا يرضى من المرأة التى لا يتردد
فى الزواج بها بالشىء اليسير من المحاسن وجوه الفضل ، ولكنه يعترف

بأن ما يراه فيها ويؤمن به قد يتحول إلى حب إذا اهتدى إلى المرأة المثالية التي يشترطها .

وهو يتلقى نكات بياتريس وغمزاتها راضياً غير غاضب ويحجب عنها ببراعة ظاهرة ، ويعتز بفكاهته وحذقه للنكتة ، ولا بأس عنده من أن تأتي على حسابه وتوجه إليه ، إن جاءت طريقة مليحة ترضيه ، وإن كان قد غضب في ذات نفسه لنكتة واحدة رمته بياتريس بها . وهي وصفه بأنه « مهنار » الأمير فقد اعترف أنها أوجعته ، وأحدثت أثراً بالغاً في خاطره .

وقد عرّفنا به في مطلع القصة الرسول الذي قدم لنبئ القوم بقرب مقدم الأمير ، فقد قال عنه إنه قد عاد إلى المعارك مرحاً كما كان أبداً . وهو رأى وجدنا جميع شخوص القصة يقرون الرسول عليه .

وقد جعلته طبيعته الرقيقة ، أو سلامة فطرته ، فريسة سهلة لمكايد الأمير وصاحبه ، وعرضة لسخرية أصدقائه وشماطهم به ، ولا ريب في أن التضحية التي بذلها حين اعترف بأنه المغلوب المنحدر كانت عميقة الأثر في نفسه الشفافة وعزته ، ولكن علمه بأن بياتريس تتأوى من الحب له ، كان يتغلب على تظاهره بكرهية النساء . فلم يلبث أن صدق الحيلة التي احتالها الأمير لإيقاعه في الحباله ، ولم يكن ثمة شك في حبه حين استطاع التغلب على بغضائه للزواج ، ولم تكن هي لتحمله على مطالبة صديقه كلوديو بالخروج إلى المباراة كوناً منها إلى الحب الذي يشتعل لها في صدره حتى استجاب لها ، ونزل على حكمها .

أما ذكاؤه فقد تجلى في عدة مواقف في القصة فهو الأوحـد الذي
 لبث في مشهد القران الذي انتهى بمأساة ، وإغماء العروس ، ساكن
 الأوصال ، مسترياً بالفرية التي افترت عليها . بل هو أول من
 ذهب به الظنون إلى الشق الذي دبر تلك المكيدة .

ولو أننا فصلنا واقعة حب كاوديو وهيرو من صلب الرواية لما أبقينا
 منها إلا على مواقف أليمة . ومشاهد لا يستروح الخاطر إليها ، ولكن
 الشاعر العبقري جاء بهذه العلاقة بين بنيديك وصاحبه لتكون تلطيفاً بديعاً ،
 ومزاجاً سائغاً ، وتوازناً بهيجاً ، مع العناصر الجديدة التي تتألف القصة
 منها . حتى لقد تشابها في الاعتداد بالذات ، والحرص على الكرامة .
 والشخصيتين الآخرين وهما كلوديو وحبيته . وإن كان اعتدادهما بيلو
 مشعباً بمجانة بديعة وسخرية فكهة .

بياتريس

إن أول ما يبدو هنا عند تحليل شخصية بياتريس هو تماثلها العجيب
 لشخصية « بنيديك » ، فهي أبدأ مرحلة . خفيفة الظل ، راضية بالحياة ،
 وكل منهما مستطرد في مجانة ممتعة على حساب الآخر . متقبل غمزاته ،
 غير ضائق بها ، معتر ببرايعته في الرد عليها ؛ فلم نر بنيديك متبرماً إلا بنكتة
 واحدة منها ، وهي قولها عنه كما أسلفنا « مهذار الأمير » . ولم نشهدها

غضبي من نكاته ، إلا من غمزه ، حين قال إنها « محفوظات » استذكرتها من كتاب « مائة النادرة » وهما على حد سواء في إظهار النفور من الزواج ، وفي التغلب عليه حين سماع أقوال الآخرين عما يكابده صاحبه من آلام الحب وتباريححه .

وهي تحب ابنة عمها « هير و » أصدق الحب ، وتؤمن ببراءتها من التهمة التي رُميت بها ، حين صدقها الآخرون حتى أبوها ، وتحمل بنيديك على قتل كلوديو عقاباً له على ربيته بابنة عمها .

أما نفورها من الحياة الزوجية ، كما نفر منها بنيديك ، فلم يكن إلا تظاهراً ومراعاة . وقد بدت لنا في لفظة خفيفة على القران حين ظفرت به ابنة عمها من قبلها . فقد مضت تزفر قائلة « ألا من زوج ألا من زوج ! » ، وهي صريحة هيئات أن تنبعث من قلب للزواج كاره . . .

دون بدرو

هو الأمير الذي يدين له « كلوديو » و « بنيديك » بالفضل في وثبتهما إلى الشهرة والمجد ، فقد أراد أن يشبع ولوعه بالمرح واللهو فجمع من حوله صاحبيه هذين ، ومضى يعني بهما ، ويطلب لهما الخير جاهدأ ، حتى لقد تولى بنفسه مفاتيحة « هير و » في أمر الزواج بكلوديو حتى ظفر له بها ، وهو الذي أصلح بين بنيديك وبياتريس . بتلك الحيلة

٣٠

اللطيفة التي دبرها ، ولكنه بجانب هذا العنصر الطيب الكريم فيه لا يزال يشارك صاحبه « كلوديو » في سرعة تقلبه ، وتصديقه لما يقال له . واستسلامه لتضليل المظلّمين . وقد لقي جزاءه بذلك الاعتراف الصريح الذي أدلى به « بوراشيو » حين قبض الحراس عليه .

ليوناتو

هو حاكم مسينا ، المدينة التي وقعت فيها أحداث القصة ، كما يقول المؤلف في بيان « أشخاص الرواية » ؛ ولكن منصبه هذا ، أو اشتراكه في الحياة العامة ، لا أثر له فيها . لأن مواقفه خلال فصولها متصلة بحياته الخاصة وكل خطره وشأنه أنه والد « هيرو » التي أحبها أشد الحب ، حتى لقد رأيناه حين شهر بها كلوديو على الملأ ، يفقد رباطة جأشه ، ويؤثر الموت على الحياة . واحتمال هذا العار الذي جلبته على بيته وعشيرته . وقد رأيناه يشرح مدى حبه لها ، ويكشف عن مبلغ اعتزازه بإياها ، ولئن عينا عليه ضعف الإيمان ببراءتها ، وسرعة تصديقتها لما نُسج من الإفك حولها ، فلا يزال له العذر ، حين رأى ثلاثة شهود كبار يثق بهم يقرّون أنها الأئيمة الجانية .

وليس من شك في أن الحفاوة التي لقي بها الأمير وصاحبه تدل على طيب فطرته وكرمه ، وبمحبوة نفسه ، حتى لا أثر فيها لكبر أو غطرسة

أوازدهاء ، فقد راح فى معاملته للشرطة والحراس يبدى جانب الرفق ، ويصطبر للثرثرة ، ويستأنى لسماع كلام لا يفهم منه شيئاً ، كما كان يتقبل نكات «بنيدليك» بالروح ذاتها التى كان هذا يرسلها. وهو يلوح لنا فى مختلف مشاهد القصة ومواقفها الزجل الهين الذى رقت الرفاهية من خليقته ، على النقيض من كلوديو الذى أفسدته صعدته إلى الشهرة والعجب البعيد .

ولم يتردد هذا الشيخ على ضعف بنيته فى مجابهة الوشاة فى حق ابنته وتحديهم ومغاضبتهم ، وإذا لم يكن هذا التحدى قد ظهر فى حرارة اللحظة بل بدا فيما بعد . عقب التروى والتفكير ، فإن ذلك كله شاهد على شجاعته .

أنطونيو

هو أخوه ، وليس له دور كبير فى القصة ، فلا يبرز على أحسنه ، إلا فى مطلع الفصل الخامس حين يتحدى الأمير وصاحبه ؛ ويظهر على تقدمه فى السن ، شجاعة رائعة ، وحماسة متقدمة ، فى الدفاع عن شرف ابنة أخيه .

دون جون

هو شخصية الشرير في القصة ، والمسئول عن كل المتاعب التي حلت برب البيت وأهله ، فحدة المزاج ، والكآبة الملازمة ، والغيرة الكظيمة ، كلها بواعث قوية على ما نرى من نذالته وسوء مسلكه ؛ فلا نجد في القصة شيئاً يبرئه من الإثم ، أو يكفر عن سيئاته ، ولعله الحقد الذي كان يأكل قلبه على كلوديو ، الذي كان يصفه بأنه « محدث النعمة » وأنه ارتفع على أنقاضه ، فلا عجب إذا رأيناه في وسط هذه الطبائع المرححة الفرحة بترفها ونعمائها ، مناقضاً لها على خط مستقيم ، فلم يكن ليبتسم يوماً للحياة ، ولا الحياة ابتسمت يوماً له ، ولكنه لبث حامضاً ، كئيباً ، ضجراً ، متبرماً ، يجمع من حوله أتباعاً على غرارهِ ، وخولا من أشباهه ؛ وهو أبدأً المقل من الكلام ، المتحفظ ، المبدى ضجره وبرمه وبروده لكل إنسان ، حتى ليقول عن نفسه إنه ليؤثر أن يكون مستهدفاً للسخرية والامتهان على أن يغتصب من أحد حبساً ، أو ينتزع من قلب ودّاً . وقد استمكن الحقد منه على كلوديو فلم يتردد في تدبير أية حيلة للإساءة إليه حتى لقد أجزل العطاء لمن ارتضى أن يتولى ذلك عنه ، كأنما قد وُكِّل بأن يدمر سعادة الناس ويخلق لهم المتاعب ، ويرنق عيش أصحابه . . .

بوراشيو وكونراد

هما تابعا « دون جون » اللذان أعاناه على تدبير المكيدة ، أما الأول فهو الذى اقترحها عليه وتولى التنفيذ ، واستغل الوصيفة مرجريت الساذجة فى تضليل كلوديو . ولكنه حين أدرك أن فعلته قد انكشفت لم يتردد فى الاعتراف . وترك فى نفوسنا أثراً حسناً من ناحيته .

وليس لكونراد دور يذكر فى الرواية إلا مجرد الشريك السلبى لبوراشيو ، والزميل الذى سمع نبأ المكيدة منه ، حين كان الحراس يسترقون السمع عليهما .

مرجريت وأرسولا

مرجريت صاحبة بوراشيو والمشاركة معه على جهل أو حسن نية ، فقد حملها على تمثيل دور « هيرو » أو الظهور ليلاً فى الشرفة ، لينخدع كلوديو ، ويعتقد أن هيرو خائنة .

أما أرسولا فهي الوصيفة التى حذقت دورها فى الحيلة التى دبرت لبياتريس ، حتى تقتنع بأن بنيديك يحبها . وهى الحيلة التى أراد بها الأمير دون بلرو أن تثنى بياتريس عن غيها ، ويعدل بنيديك عن مجونه ، ليقرب بينهما . ويدفع بهما إلى مصارحة الآخر بحبه .

دوجبرى وفارجس

شرطيان مضحكان يشيعان فى أفق القصة مرحاً وبهجة ، كلما خيف أن تدنو من الجدد ، أو تفقد خفة الروح ، وإليهما يرجع الفضل فى كشف المكيدة التى دبّرت للقضاء على العذراء « هيرى » وانصراف كلوديو عن القران بها ، شفاء لوجدة « دون جون » عليه ، أن غلبه فى الخطوة عند أخيه .

ولم يكن كشفهما للمكيدة عن ذكاء ، فهما غبيان ، وإن كان غباؤهما لطيفاً يستريح الخاطر إليه ، وإنما وقعا على الحقيقة بمحض المصادفة ، وهما يشرفان على العسس فى الطريق العام الذى يقع فيه بيت ليونانو الحاكم .

والواقع أن التحقيق الذى تولياه مع الرجلين اللذين قبضا عليهما — وهما بوراشيو وكونراد صنيعتنا « الشرير » « دون جون » — لم يكشف شيئاً يعين على جلاء المكيدة ، ولولا اعتراف بوراشيو لكلوديو الأمير فى الفصل الخامس لما استطاع هذان الشرطيان إزاحة الستار وحدهما عن جلية الأمر وخافيته .

ولعل أبدع ناحية فى هاتين الشخصيتين المضحكتين ولوعهما بإظهار الجدد ، وتحريف الكلام ، والترائى بالعلم ، وهما منه خلاء ، فإن لأولهما

« دوجبرى » طريقة متمعة فى التظاهر بالعلم ، وهو الجاهل ، وحسبان الخطأ هو الصحيح ، والإلقاء بالحكمة السائرة ، فى عبارات من لغته البعيدة من كل معروف ومألوف .

الكاهن

هو الأخ فرانسس — ولعله من لقبه راهب من جماعة الإخوة — أو الفرير لأن كلمة Friar هى وكلمة « فرير » سواء . ولكننا آثرنا أن ندعوه « الكاهن » لأنه هو الذى جىء به ليعقد القران فجرت مأساة التشهير بالعروس وهى أمام الهيكل على عينيه .

ولهذا الكاهن دور كبير الشأن فى القصة ، فهو رجل أوقى علماً بخوالج النفوس ، ودراسة الشخصيات ، فلم يلبث عقب الفضيحة التى حدثت فى محضره وأدت إلى إغماء العروس ، أن ذهب خاطره إلى أنها بريئة مما اتُهمت به ، فوضع خطة لتبديد الريبة ، وكشف الحقيقة لعلها رادة كلوديو إلى حبه . وقد نجحت تلك الخطة من بوادرها ، لولا موقف التوعد والتحدى الذى اتخذته ليوناتو وأخوه أنطونيو عند لقاؤهما كلوديو والأمير عقب الحادثة التى وقعت فى الكنيسة ، ولكن هذا الموقف لم يأت بالنتيجة التى كان الكاهن يرجوها ، وهى شعور كلوديو بالندامة ، بل تجاوز ذلك إلى أمر زاد فى نجاح الخطة ، وهو استجابته لما أريد منه بغير تردد أو اعتراض . . .

معالم بارزة

في فصول القصة ومشاهدها

تتنظم روايات شكسبير مجموعتان ، الأولى ظهرت كلها قبل عام ١٥٩٥ وهى « جهاد حب ضائع » و « مهزلة أغلاط » و « حلم ليلة صيف » و « سيدان من فيرونا » و « روميو وجولييت » و « ريتشارد الثانى والثالث » و « هنرى السادس » فى أجزائها الثلاثة ، وتشمل الأخرى - وهى الفترة الثانية بعد ذلك التاريخ - « الملك جون » و « تاجر البندقية » و « ترويض الشريعة » و « هنرى الرابع » بجزأها . و « زوجات نندسور المرحات » ؛ و « هنرى الخامس » و « كما تشاعون » و « الليلة الثانية عشرة » . وهذه القصة التى ننقلها إلى العربية. وهى إحدى ثلاث مسرحيات كتبها المؤلف فى أرغد أيامه ، وأبهج أدوار حياته ، وأملأ مراحلها فكاهة ومرحاً ، قبل أن ينتقل إلى النواحي الجادة من حياة الناس . ويرسم مآسى عيشهم ، ويصور أفاعيل غرائزهم ، بعد أن فرغ من رسم صنوف نزقهم ، وألوان حماقتهم ، وضروب لهوهم فى الحياة . فقد وضع فى هذا اللور مآسيه الخالدات ، يوليوس قيصر ، وهملت ، وعطيل ، والملك لير .

وقد امتازت المسرحيات الثلاث التى أسلفنا ذكرها بسمو الخيال ، ولطف الخاطر ، وإكتمال الفن ، وطرافة النكتة ، وخفة الظل ، وبعد مطارح المحزون .

وسيرى القارئ مبلغ ما ازدحمت به هذه القصة من لمع الفكاهة ، وأبدع ألوان المجانة ، على قلة عناصر الموضوع فيها ونبرة الحوادث خلالها ، حتى لتكاد تكون « حواراً » جميلاً ، ومساجلات فكهة ، وإن لم تخل جملة من مواقف رائعة ، لعل أبدعها وأروعها المشهد الذى بدأ فى الكنيسة ، حين انبرى العروس يشهر على رؤوس الأشهاد بعروسه ، ويرويها بالحياة والعار ، وما أعقب هذا التشهير من إغمائها أمام الهيكل ، قبيل حفل الزفاف .

فقد يكون مشهد كهذا فى رواية مريحة أكثر مما تحتمله الأعصاب ، أو يتسق والموضوع الذى تدور القصة حوله ، ولكن ما يخفف من أثرها أن النظارة الذين يشاهدونها ، والقراء الذين يطالعونها ، يعرفون أن التهمة التى رُميت العروس بها وليدة مكيدة مدبرة ، ويعلمون أنها بريئة منها كل البراءة ، وإن جهل الأمر أبطالها الآخرون ، ووقعت التهمة من نفوسهم أسوأ موقع . وفى ذلك يقول « شليجل » : إن هذا المشهد هو قطعة رائعة بكل معانى الروعة ، وإن تأثيرها المسرحى لا يكاد يدانيه شئ ، وكان وقعها سيروح محزوناً فاجعاً ، لولا حرص شكسبير على التخفيف من حدته ، توطئة لظهور حادث سعيد ، والمضى بالقصة إلى نهاية موفقة . . .

وناهيك بما فى الحوار المستمر بين « بياتريس » وبنيديك والتراسق بالنكت المليحة من ثروة مجانة وارتفاع بالغ فى آفاق السخرية واللعب بالألفاظ ، والافتنان فى مختلف ألوان البديع والبيان .

ولا نحسب ما حفلت به مسرحية « كما تشاؤون » من حوار بين « أورلندو » و « روزالند » يضارع مثيله في هذه القصة أو يقع قريباً منه ، إلا أن التراشق بالنكات بين بياتريس وبنيديك هنا ، يبدو لاذعاً موجعاً ، مليئاً بسخرية . بينما يغلب على مثله في المسرحيات الأخرى طابع الحجة البحت والعبث الخفيف .

فقد صور الشاعر بياتريس وبنيديك خلال قصتنا هذه في صور المتمردَيْن على الحب ، المتأبسين على فكرة الزواج ، الساخرين من الرجال والنساء بالسواء ، ومضى يرسم لنا في حذق بالغ كيف دبر أصحابهما لهما مكيده لطيفة لحمل كل منهما على الإيمان بأن الآخر يكن الحب له ويخفي الميل إليه ، في أعماق صدره ، وأغوار جوانحه .

وقد رأينا أصحابهما ينسبون لأنفسهم فضل هذا التحبيب بينهما ، إلى لطف وسيلتهم وبراعة مكيدهتهم ، ولكن حرص كل منهما على هذا العبث اللاذع بالآخر كان في ذاته دليلاً على نمو الميل إليه ، واستمكان الحب منه ؛ وحين اعترفا به ، لم يفارقا المحزون لحظة ، ولم ينصرفا من السخرية والتهكم . ولم يسكنا إلى الجدل غير مرة ، عندما وقفا وقفة الدفاع عن البريئة المتهمه .

وليس من شك في أن شكسبير لم يخطئ المرء ، لأن المولعين بالنكتة ينهون في أغلب الأحيان عند نقطة لا يرتضون اجتيازها ، ما لم يشاءوا أن يؤخذوا مأخذ المهاذير المغفلين .

وسيرى القارئ كيف مضى شكسبير في تصوير بياتريس يتحدثنا عن مدى اجتماع قوى العقل والحوية وتفاعلهما في مثل تفاعل النار والماء ، على حين جعل بنيديك الذى يكره النساء ويجاهر بيغضهن ، يتحول ببراعة ظاهرة إلى فكرة الزواج ، على أثر سماعه بنأ حب بياتريس له . وجاءت شخصية «هيو» العروس التى اتهمت ظلاماً متقنة التصوير ، متناقضة أبدع التناقض وشخصية الماجنة اللاذعة بياتريس . وبدأت علاقة الفتاتين طبيعية تملك الإعجاب . فقد صور المؤلف «هيو» قليلة الكلام عن نفسها ، مستعينة عنه ببلاقتها في ذاتها ، وجعل الأخرى تسمو عليها بروحها الجياشة وعقلها الجبار ، وإن كانت «هيو» ، إلى جانب جمالها ورقتها ، قد أوتيت بوصفها بطلقة القصة جمالاً روحياً منقطع النظير .

وسيتبين القارئ أيضاً أن الشاعر جعل ، كلما مالت به القصة إلى ناحية الجدل المفرط ، يعود فيخفف من حدتها بمشاهد فكهة ، ومحاورات طلية ، وبخاصة المشهد الذى يتجلى فيه الشرطى المتعالم وأصحابه الذين استعان شكسبير بهم ، إلى جانب عنصر الفكاهة في أشخاصهم وتصرفاتهم ، على كشف المكيدة التى دبرها الحقود «دون جون» وخادمه «بوراشيو» . بأسلوب مفعم مجانة وطريقة لطيفة المدخل على النفوس .

أشخاص القصة

| | |
|----------------------------------|---------------------|
| دون بدرو : أمير أراجون | دوجبري : شرطي |
| دون جون : أخ له غير شرعي | فارجس : زميل له |
| كلوديو : فتي نابه من نبلاء فرنسا | خادم كنيسة : |
| بنيديك : فتي نابه من نبلاء بادوا | غلام : |
| ليوناتو : حاكم مسينا | |
| أنطونيو : أخوه | هيرو : ابنة ليوناتو |
| بالتازار : أحد موالى دون بدرو | بياتريس : ابنة أخيه |
| كونراد | مرجريت |
| بوراشيو | أرسولا |
| فرانسس : الراهب | رسل وحراس وأتباع |

وقائع القصة : في مسينا

الفصل الأول

المنظر الأول

أمام بيت ليوناتو

يدخل ليوناتو وهيرو وبياتريس مع رسول

ليوناتو : لقد علمت من هذا الكتاب أن « دون بدرو »

أمير أرجون قادم الليلة إلى مسينا

الرسول : إنه الساعة جد قريب ، فقد كان

على ثلاثة فراسخ منها حين تركته

ليوناتو : كم من السادات فقدتم

في هذا القتال ؟

الرسول : قليلاً من مختلف الرتب ، ولم نفقد من العلية أحداً

ليوناتو : إن النصر ليعد مزدوجاً

حين يعود المنتصر إلى وطنه

كامل العدد ، تام الصفوف

وقد علمت من هذا الكتاب أن دون بدرو قد أضفى شرفاً

عظيماً على فتي فلورنسى يدعى كلوديو

الرسول : لقد استحقه من جانبه عن جدارة باللغة ،

وعن نصفه من جانب دون بدرو ، بالسواء ،
فقد تجاوز في مسلكه ، ما كان مرتقباً ممن في مثل سنه ،
وفعل وهو الحمل ما يفعله الأسد :
وفاق في الواقع ما كان منتظراً أكثر :
مما تنتظر مني أن أصفه لك .

ليوفاتو : إن له عمماً هنا في مسينا

سيسر بهذا سروراً عظيماً

الرسول : لقد حملت إليه الساعة كتباً

فغلبه فرح شديد ، إلى حد جاوز الاعتدال ،
فلم يستطع فرحه أن يبلى خالياً
من مظهر أسي ، ودلائل حزن

ليوفاتو : هل أجهدش بالبكاء ؟

الرسول : في فيض زانر

ليوفاتو : إنه لفيض طبيعي من غريزة الحب ،

فليس في الوجوه وجه أصدق مما تغسله الدموع ،
إن البكاء للفرح لأفضل كثيراً من الفرح للبكاء

بياتريس : نبشني من فضلك هل عاد السنيور مونتانو؟^(١)

(١) مونتانو - لفظة معناها طعنة إلى أعلى بالسيف في ألعاب الشيش ، ومن هنا جاءت تسمية بياتريس لبنيديك بالسنيور مونتانو سخرية وتهكأ ، كإشارة إلى أنه لاعب أو كثير الزهو والادعاء .

من الحرب أو لم يعد ؟
 الرسول : لا أعرف أحداً بهذا الاسم يا سيدتى ،
 وليس فى الجيش امرؤ ذو شأن يحمل هذا اللقب
 ايوناتو : من هذا الذى تسألين عنه يا ابنة الأخ ؟
 هيرو : إن ابنة العم تقصد السنيور بنيدىك
 من أهل بادوا
 الرسول : آه . . لقد عاد ، مرحباً كديده
 يياتريس : لقد أعلن هنا فى مسينا
 تحديه « لكيبويد »^(١) فى الرماية بحداد النبال ،
 التى تصمى من المسافات الطوال
 ولكن مهلدار عمى حين قرأه ، قبل
 عن كيبويد تحديه ، فى الرماية بالسهم القصار ، التى
 تُرمى بها الأطيار^(١)

(١) إله الحب عند الإغريق . وهو يصور فى شكل صبي أعمى يحمل قوساً وسهماً ،
 يصيب بها حبات القلوب .

(٢) والمراد هنا أن بنيدىك أعلن أنه يتحدث إلى الحب أن يظفر له بامرأة أوتيت من الجبال
 حظاً تستطيع به أن تملك هواه . وهذا هو سر سخريه يياتريس منه وتهكمها به . والسهم الحداد
 معروفة بطولها وخفة سرعتها وكثرة ريشها ، وهى السهم المريشة ، أما السهم القصيرة فلا
 تتخذ من الطير غير جلودها ، وكان الإغريق يسمحون المضحكين والمهرجين والحمقى
 باستخدامها .

نبئني كم تراه قتل وأكل في هذا القتال ،
بل نبئني كم تراه قتل ،
لأنني في الواقع وعدته أن آكل جميع قتلاه (١)

ليوناتو : يمينا يابنة الأخ

إنك لفرطة في التهمك بالسنور ببنديك ،
ولكني لا أشك في أنه سيصني معك حسابه

الرسول : لقد أبلى في هذه الحروب يا سيدي

بلاء حسناً

بياتريس : لقد كان عندكم طعام زنج فساعدكم

على أكليه لأنه ألهم الجريء على الخوان
وقد أوتى معدة جيدة .

الرسول : وهو جندي شجاع أيضاً يا سيدي (٢)

بياتريس : جندي شجاع لسيد

ولكن من هو أمام سيد ؟

الرسول : إنه لسيد أمام سيد ، ورجل قبالة رجل ،

حشوه جملة المكارم والمناقب .

(١) أي إنما تعرف أنه لن يستطيع قتل أحد فتعهدت له أن تأكل من يقتله واثقة أنه لن يقتل.

(٢) هنا جناس في اختلاف التهجى ، فإن too معناها أيضاً أو كذلك . وقد حذفت ياء

المتأدى في الأصل وجاء رد بياتريس «جندي» «السيدة» فاستخدم شكسبير to جناساً مع أيضاً too

بياتريس : حقاً إنه لكذلك ، فما هو إلا رجل محشو
أما عن الحشو ذاته ، فكلنا بشر
ليوناتو : لا تخطئ يا سيدى فى فهم ابنة أخى
إن بينها وبين السنيور بينديك حرباً فكهة ،
فلا يلتقيان مرة
إلا ونشبت بينهما مناوشة مزاح .
بياتريس : ولكنه للأسف لا يكسب منها شيئاً ،
وفى آخر معركة بيننا
راحت أربعة من أحاسيسه الخمسة^(١)
تمشى عرجاء ظالعة
فلم يبق له منها اليوم إلا واحدة
فإن كانت له مسكة من ذكاء
تكنى لتدبير أمره ورعاية شأنه ،
فليحرص عليها
حتى تكون فارقاً بينه وبين حصانه ،
لأنها كل ما يملكه
ليبلو مخلوقاً عاقلاً

(١) المراد بالأحاسيس الخمسة القطنة والخيالة والتصور والتقدير والذاكرة ، وهى مطابقة
للحواس الخمس ، البصر والسمع والشم والذوق واللمس .

مَنْ اليوم رفيقه
لأن له في كل شهر صديقاً وفيّاً

الرسول : أجاثر هذا ؟

بياتريس : إنه جد جائر ممكن

إنه يبدل عهوده كما يغير قبعته ،
فهو يغيرها كلما استحدث قلب أو تغير زى
الرسول : يلوح يا سيدتي أن السيد ليس في حظوتك ،
ولا هو في كتبك ودفاترك^(١)

بياتريس : بلى ، ولو أنه كان كذلك لأحرقت مكتبتي ،
ولكنني أسألك من رفيقه ؟
أليس ثمة فتى شكس

يذهب معه في سفرة إلى الشيطان ؟
الرسول : إنه أكثر ما يبدو في رفقة النبيل كلوديو .

بياتريس : يا لله ! إنه سيلازمه ملازمة الداء ،

بل هو أسرع إليه من الوباء
فلا يلبث المصاب أن يجن .
كان الله في عون كلوديو النبيل

(١) أى لست عنه راضية . وقد جاء الشاعر بهذه العبارة ليأتى الرد مناسباً لها في قولها
« لأحرقت مكتبتي » ، كما سيلي .

إذا كان قد أصيب ببينديك^(١)
لسوف تكبده تلك العلة ألفاً من الجنيمات
قبل أن يقدر له الشفاء .

الرسول : سأحرص على مودتك يا سيدتي^(٢)

بياتريس : افعل أيها الصديق الكريم

ليوناتو : لن تُصابي يابنة الأخ بيجون يوماً

بياتريس : أبداً ، أو يأتي شهر يناير حراً وصهداً^(٣)

الرسول : ها هوذا دون بدرو مقبل .

(يدخل دون بدرو ودون جون وكلوديو وبينديك وبلتازار)

دون بدرو : يا سنيور ليوناتو الكريم

لقد جئت لتلاقي عناء

إن ديدن العالم تجنب المتاعب

وديدنك أنت مواجهتها .

ليوناتو : ما طرق العناء يوماً بيتي ، في صورة سماحتك ،

وما دام العناء قد ارتحل

(١) بينديك : هو اسم الرجل الذي تتحدث عنه ، ولكن بياتريس تلمح أيضاً إلى مرض يدعى بهذا الاسم ، ويصيب المريض بالجنون ، كما يفهم من قول عمها الذي سيل هذا الكلام .

(٢) أي حتى لا أسهف لهجوك .

(٣) وهو مستحيل .

فقد آن للراحة أن تحل ،

ولكن حين تفارقتي ،

يقيم الحزن عندي ويلانمني ، ويولي عني السرور .

دون بدرو : إنك تتقبل المغارم مفرطاً في الرضى بها ،

أظن هذه ابتلتك

ليوناتو : هكذا قالت لي أمها مراراً .

بنيديك : هل كنت في شك يا سيدى حتى تسألها ؟

ليوناتو : لا ، يا سنيور بنيديك ،

لأنك كنت يومئذ طفلاً .

دون بدرو : هذه لطمة « قوية » يا سنيور بنيديك ،

ومنها نستطيع أن نحزر من تكون ،

وأى رجل أنت ،

حقاً إن السيدة قد دلت على بنوتها لأبيها ،

اسعدى يا سيدتى لأنك شبيهة بأب كريم

بنيديك : لو كان السنيور ليوناتو أباًها

لما رضيت برأسه على كتفها^(١)

ولو أعطيت مسينا بأسرها

ما دامت كما هي شبيهة به

(١) أى لما قبلت رأسه الأشيب .

٥٠

ف - ١

بياتريس

: عجبي لك يا سنيور بنيديك

إنك لا تنقطع عن الكلام ،

ولا أحد يلتفت إليك .

بنيديك

: وى . . . ألا تزالين أيتها « السخرية » العريضة حيّة ؟

بياتريس

: وهل يمكن أن تموت السخرية ،

ولديها مثل السنيور بنيديك طعاماً شهياً . . ؟

إن المجاملة ذاتها

لتنقلب حتماً إلى سخرية ،

لو مثلت . حضرتها .

بنيديك

: المجاملة إذن متقلبة غادرة ،

ولكن الذى لا ريب فيه

أننى محبوب من النساء جميعاً ما عداك ،

ووددت لو أجد فى نفسى

أنى لست قاسى القلب ،

لأننى فى الحق ،

لا أحب منهن واحدة .

بياتريس

: ذلك من حسن حظ النساء ،

وإلا لأُصِبنَ بخطيب خبيث ،

وإنى لأحمد الله ،

...

- ودى البارد ، على أن مزاجى شبيه بمزاجك
 فى هذه الناحية حتى لأثر أن أسمع كلبي ينبع غراباً ،
 على أن أسمع رجلاً يقسم أنه يحبني .
- بنيديك : أرجو الله أن يبقيك دائماً على هذا الرأى ،
 حتى ينجو الرجال من خلدش الوجوه المقلد لهم ،
 إذا هم أصيبوا بك
- بياتريس : لن يستطيع الخلدش أن يجعل وجوههم
 أسوأ صوراً ، إن كانت مثل وجهك .
- بنيديك : حقاً إنك لمعلمة بيغاوات نادرة .
- بياتريس : لطائر لسانى خير من وحش مقولك .
- بنيديك : وددت لو أن الحصانى سرعة لسانك .
- وجلده على الاستمرار ،
 ولكن بالله عليك امكثى حيث أنت ،
 فقد انتهيت أنا واكتفيت
- بياتريس : إنك لتنتهى أبداً بمكر الحصان المكشود ،
 حين يخرج رقبته من الطوق^(١)

(١) من عادة الحصان المهوك المتعب الذى لا قيمة له أن يجرن ويحاول بمكروه أن يقف
 عن السير فيخرج رأسه من « رقبته » والمعنى أنه فى جرده معها ينتهى متعللاً بأنه قد أدى ما عليه
 ووفى ما عنده .

إنني أعرفك من زمن بعيد
دون بدرو : إليك يا ليونانو جملة الخبر .
إن صديقي العزيز ليونانو ،
دعا كما يا سنيور كلوديو ويا سنيور بنيديك إلى ضيافته ،
وإني لقائل إننا سنقيم هنا شهراً على الأقل^(١)
وهو يرجو من صميم قلبه أن تعرض مناسبة
فتجعل مقامنا عنده أطول أمداً ،
وفي وسعي أن أقسم أنه ليس بمناقق ،
ولكنه يرجو هذا من كل قلبه صادقاً .
ليونانو : إذا أقسمت يا مولاي
فلن تكون في قسمك حائثاً .
(إلى دون جون) أهلاً بك يا مولاي وسهلاً ،
إني لمؤد لك كل الواجب
ما دمت أنت والأمير أخوك في صفاء .
دون جون : أشكرك . وما أنا بأخى بيان^(٢)
ولكني شاكر لك

(١) على سبيل الإنذار والفكاهة ، وكثيراً ما يقول الضيف شيئاً كهذا لمضيفه مزاحاً .

(٢) يبدو من اقتضابه أنه رجل بهيم حاد الطبع ، قلما يتأدب في حديثه ، وهو يعتذر بأنه ليس من أصحاب الكلام ولا من الفصحاء أهل البلاغة .

- ليوناتو : تفضل يا مولاي فتقدم بنا
دون بدر : هات يدك يا ليوناتو ولنسر معاً
(يخرج الجمع إلا بنيدك وكلوديو)
كلوديو : هل لاحظت يا بنيدك
ابنة السنيور ليوناتو ؟
بنيدك : لم ألاحظها ،
ولكنني شاهدتها^(١)
كلوديو : أليست ذات خضر وشباب ؟
بنيدك : هل تسألني سؤال رجل صادق
يطلب رأيي الصريح وحكمي الحق ،
أو تريد مني أن أتكلم على عادتي
كلام جبار مشهود له^(٢)
بالقسوة على النساء كلهن ؟
كلوديو : كلا ، أناشدك أن تتكلم بهدوء ،
وتتروى في الحكم
بنيدك : يلوح لي حقاً أنها « أقصر » قامة

(١) أي أنه شاهدها ولم يتأملها والفرق ظاهر بين الملاحظة وبين المشاهدة .

(٢) في الأصل طاغية مسترف به أو كما نقول في أيامنا هذه « محترف » جعل كراهية النساء ديدنه .

مما يستحق مديحاً « طويلاً » ،
 وأسمر لوناً مما يستأهل إطراء زاهياً
 وأضال بدنأً مما يستوجب ثناء عظيماً^(١)
 وليس لها عندى ما يزيكها إلا شيء واحد ،
 وهو أنها لو لم تكن كما هي ،
 لكانت غير مليحة ،
 أما وهي هي ،
 فلست أستحسنها

كلوديو : هل تظننى هازلاً ؟
 إني لأرجو إليك
 أن تنبشني حقاً ما شعورك نحوها .

بنيديك : هل تريد أن تشتريها
 ومن أجل ذلك تسأل عنها ؟
 كلوديو : هل في وسع الدنيا أن تشتري جوهرة كهذه ؟
 بنيديك : نعم ، وحقاً لتوضع فيه ،
 ولكن أتعهدك عن جد

(١) هكذا في الأصل ، وقد راعى الناقل الطباق أو التقابل بين قصر القامة وطول المديح
 وبين سمرة البشرة ، وزاهى الثناء ، وبين ضالة البدن ، وعظم الإطراء ، ويبدو شكسبير في
 هذه الرواية كثير اللعب بالألفاظ ، سرفاً في المحسنات وألوان البديع والبيان .

أم تريد العبث بي ؟
 لنقول لنا إن كيوييد بصير ككلب الصيد ،
 وإن فولكان نجار نادر^(١) ؟
 ألا قل لي أى نغمة أتخذ
 لكى أوأثم أنشودتك ،
 أنغمة فرحة أم حزنة تريد^(٢) ؟
 كلوديو : إنها فى عيني أملح امرأة
 وقع عليها ناظرى .
 بنيديك : لا أزال قديراً على النظر بغير منظارين ،
 ولكنى لا أرى شيئاً من هذا القبيل .
 انظر إلى ابنة عمها
 إنها لتفوقها كثيراً فى الجمال ،
 كما يفوق أول مايو آخر ديسمبر ،
 لولا سرعة الغضب التى تتملكها

(١) المعروف أن كيوييد إله الحب أعمى ، فن العبث أن يقال إنه حديد البصر
 ككلب الصيد وأن فولكان إله النار والمعادن فن المزرا أن يقال عنه إنه نجار يحترف صناعة
 الخشب .
 (٢) استعارة من الموسيقى . يريد بها المؤلف أن يقول ماذا تريد منى أن أبلى هل أجد أو
 أهزل لكى أوافقك على رأيك .

ولكنى أرجو ألا تكون متوياً أن تنقلب زوجاً .
أترارك انتويت ؟

كلديو : لا أحسنى أستطيع السيطرة على نفسى
إذا رضيت هير و أن تكون زوجتى ،
وإن كنت قد حلفت لا أكون زوجاً .

بينيك : هل وصل الأمر إلى هذا الحد ؟
يمينا أليس فى الدنيا رجل واحد ،
لا يلبس قبعته موسوساً متشككاً (١) ؟

ألن يقدر لى مرة أخرى
أن أرى رجلاً أعزب فى الستين من العمر . .
ماذا أصابك ،

يمينا لو استوجب الأمر
إدخال عنقك فى النير
فالبس شعاره أيام الأحد ،
واقضها فى شكاة وأنين ،

فعل المصلين العابدين المستغفرين (٢) .

(١) استعارة يراد بها ، هل خلت الدنيا من رجال لا يستر بيون بنسائهم فهم يضعون
القميمات فوق رؤوسهم لإخفاء « قروهم » .

(٢) إشارة إلى ما كان يفعله المتشددون فى الدين ، وهم طائفة « البيوريتان » المزمثون
فى العبادات على عهد الملكة إليزابيث يوم الأحد إذ يلبسون ثياباً بسيطة ويقضون وقت الصلاة فى
عبادة ويكاء وأنين .

انظر ها هوذا دون بدرو

(يدخل دون بدرو)

عائد لافتقاده

دون بدرو : أى سر احتجرك فى هذا المكان

فلم توافنا إلى دار ليوناتو ؟

بنيدىك : أرجو من سماحتك أن تعفينى من الكلام .

دون بدرو : لئننى ألزمتك بحق ما لى عليك من ولاء .

بنيدىك : هل سمعت يا كونت كلوديو ،

أن فى وسعى أن أصمت صمتة الأبكم ،

وأحب أن تفهم هذا عنى .

أما وهو كما ترى

ملزمنى الكلام بحق ما له من ولاء -

إنه يناشدنى القول بحق الولاء ،

فلا معدى لى من القول « إنه يجب »

أما من " ، فذلك هو دور سماحتك فى استطلاع جليته ..

وانظر بعد إلى « قيصر » الرد الذى هو راده ،

إنه يجب

« هير و » القصيرة ابنة ليوناتو

كلوديو : إذا كان الأمر كذلك فقد باح به

بنيدىك : كالقصة القديمة يا مولاي ،

« ليس الأمر كذلك ،
ولم يكن كذلك
ومعاذ الله أن يكون كذلك »^(١)
دون بدرو : يمين الحق لقد قلت ما أعتقد .
كلوديو : ويميناً يا مولاي ،
لقد أفصحت أنا عن خاطري
بنيدك : وبالحقين واليمينين يا مولاي معاً ،
لقد جهرت بما أعتقد
كلوديو : أما أني أحبا ،
فذلك هو شعوري .

(١) القصة القديمة - هذه إشارة إلى قصة قديمة عن سيدة تدعى « اليدي ماري » ذهبت يوماً لزيارة رجل من معارفها يدعى « المستر فوكس » وكان غائباً فاكشفت في بيته حجرة اعتاد أن يخفي فيها جثث النساء اللاتي قتلن ، ولم تكذب تخرج منها حتى لحته والسيف في يمينه وهو يحير سيدة إلى البيت . فبادرت إلى الاختباء حتى لا يراها ، وحين وصل إلى البيت مضى يحير فريسته فوق مدارج السلم فتمسكت بالسياج فلم يكن منه إلا أن يثر يدها من المعصم بسيفه واستطاع أن يقتادها إلى الحجرة الرهيبة . وأما السيدة ماري فتمكنت من الهرب وأخذت الكف المقطوعة معها دليلاً على الجريمة . وفي ذات يوم كان المستر فوكس يتناول العشاء في دارها فانتبهت هذه الفرصة لامتحانها . ومضت تروي له كيف زارته في بيته كأنها رؤيوية في المنام أو حلم من الأحلام وجعلت تقول خلال الرواية أليس كذلك أو لم يكن الأمر كذلك ، إلى أن وصلت إلى حكاية الحجرة الرهيبة ، فلم يلبث المستر فوكس أن راح يردد ليس الأمر كذلك ولم يكن الأمر كذلك ومعاذ الله أن يكون كذلك .

- دون بدرو : وأما أنها جديرة بالحب ،
فذلك هو علمي .
- بنيديك : وأما أني لا أدري كيف تُحَبَّ مثلها ،
ولا أعلم كيف تكون بالحب جديرة ؟
فذلك هو الرأي الذي لن تستطيع النار أن تذيبه من أعماق
نفسى ،
ولن أتحوّل عنه ولو مت فوق الخابور .
- دون بدرو : لقد كنت أبدأ العنيد
في الكفر بالجمال والازدراء به
- كلوديو : ولم يكن يوماً بقادر على الاحتفاظ بكفره وعناده
إلا بقوة إرادته
- بنيديك : أما أن امرأة حملت بي ،
فأنا لها شاكر ،
وأنا ربتني صغيراً ونشأتني صبيّاً ،
فلها مني أصدق الشكر وأعظم الخضوع .
أما أن تطلق الأبواق عند جبهتي ،
لتردني عن عقيدتي ، رد كلاب الصيد الطريفة ،
أو أن تعلق خية في منطقتي ،
فأستميح النساء جميعاً معذرتي ،

وإذ كنت أظلمهن بالشك فيهن ،
فسوف أنصف نفسي فلا أسكن إليهن
و « جملة » القول الذى هو بى « أجمل »
أننى سأعيش أعزب^(١)

دون يندرو : أرجو الله أن أراك قبل مماتى
شاحباً مصفرّاً من فرط الحب

ينبيك : قل من فرط الغضب ، أو من حدة الوصب ،
أو شدة السغب ، يا مولائى ،
ولا تقل من فرط الحب ،
أثبت أننى سأفقد يوماً من الدم ،
بالحب والغرام والعذاب ،
أكثر مما أستعيده بالشراب ،
أسمل عينيّ بريشة شاعر أشن ،
وعلقنى على باب ماخور
رمزاً لكيوييد الضرير .

دون يندرو : ويوم تحول عن هذا الرأى ،

(١) حتى أمه التى حملته ووضعت له عندئذ لا كلمة شكر ، واستعارة الأبواق هنا مأخوذة من الصيد حين ينفخ فيها تنبيهاً إلى الصيادين وكلاهما بوجوب العودة وتعليقها خفية فى متعلقاته مبرز آخر فى المعنى ذاته .

تروح أنت الحجة الرائعة
على نفسك

بنيديك : فإن فعلت فعلقوني في سلة
كالقط واروني بمهامكم ،
واربتوا على كتف من يصيبني
وادعوه آدم الرامية^(١)

دون بدرو : ليكن الحكم للزمن ،
« فمع الزمن يرضى الثور النافر بالنير حول عنقه » .

بنيديك : قد يرضى به الثور المتوحش ،
ولكن إذا رضى به بنيديك العاقل ،
فانزعوا قرني الثور وأثبتوهما في جهتي ،
وصوروني أنكر ما تصوروني ،
واكتبوا بأحرف غلاظ كالقرون
« هذا حصان يُستأجر »

وليعلنوا تحت رسمي

(١) كانت العادة أن توضع القطط في زجاجات خشبية مدلاة من حبل ومع القطط كمية من السناج فن قدر على إصابة الزجاجات من قاعها وهو يجرى من تحتها ولا يصيبه الهباب . كان هو الفائز وأما « آدم » هنا فأحد ثلاثة اشتهروا بحسن الرماية في تلك الأيام وأولهم آدم بل ، وقد دون الاسقف برسى أعمالهم الرائعة في كتاب « المخلوقات » .

« انظروا ها هو ذا بنيديك البعل »^(١)

كلوديو : لو وقع ذلك يوماً

لكنك مجنوناً « صارخاً من قرونة »

دون بدرو : أجل ، إذا لم يكن كيوييد قد بعث

إلى البندقية بكل ما في جعبته من السهام المريشة^(٢)

فستصبح وشيكا « ساهماً » ، « راعشاً » ،

كريشة في مهب الريح^(٣)

بنيديك : بل لتزلزل الأرض يومئذ زلزالها

دون بدرو : سيأتي ذلك اليوم المشتوم فلا تستعجله .

والآن ادخل يا سنيور بنيديك الكريم

إلى دار ليوناتو وأقرئه عنى السلام

ونسبته أننى لن أتأخر عن موعد العشاء ،

(١) نهاية في وصف كراهيته للزواج ، انظر إلى إشارته إلى « القرون » وحصان الأسيمة

كما جاء رد كلوديو « صارخاً من قرونة » مناسباً للدوسوع .

(٢) إشارة إلى السهام التى يحملها إله الحب في كنانته . وقوله « فينيسيا » يرجع إلى

شهرة البندقية بكثرة المشاق . والمعنى أن كيوييد سيستفيد كل ما لديه من السهام إذا هو زار تلك المدينة ، أما إذا بقى لديه منها شيء فلن يلبث بنيديك أن يصبح من سهام الحب جريحاً .

(٣) استعرنا هذا الوصف « ساهماً » « راعشاً » « كريشة » . . . إلخ لتقريب بين

الجناس الذى لحاً شكسير إليه ، فإن كلمة الجمعية في الإنجليزية هي quiver وهى أيضاً فعل معناها « يوعش » وقد أشبعنا الاستعارة للمقابلة بين قولنا « السهام المريشة » وبين قولنا « ساهما راعشا كريشة » .

لأنه في الحق قد استعد
استعداداً عظيماً .
بنيديك : أكاد أجد في نفسي من الذكاء
ما يكفي لتأدية هذه السفارة ،
ولهذا أترككما لـ . . .
كلوديو : لرعاية الله - من
منزلي (لو كان لي منزل) (١)
دون بدرو : السادس من شهر يوليو . . . صديقك
المحب بنيديك (٢)
بنيديك : لا تسخر . . . لا تسخر ،
إن صلب مناقشاتك ليبدو أحياناً
كالثوب الكثير الخليات والحواشي ،
ولكنها حواش ملفقة على الثوب ،
أو لاصقة قليلاً به (٣) ،

(١) عبارة كانت العادة في ذلك العهد أن تكتب في نهاية الخطاب كقولنا اليوم « وتفضلوا إلخ » وأضاف من « منزل » كقولنا « تحريراً في » ، وزاد بين قوسين « لو كان لي منزل لأنه بعيد عن بلده » .
(٢) وأردف دون بدرو مكملاً « السادس من شهر يوليو » - أي التاريخ - المحب « بنيديك » إشارة إلى التاريخ والإمضاء والنكتة في تعيين السادس من يوليو : لأنه « الربيع » وفيه يكثر « الحب » .
(٣) يريد أن مناقشاتك متصلة ببعض الشيء بالمقتضيات القليلة الصلة بموضوع المناقشة .

وقبل أن تمنعنا في السخرية من كلامي
 عودا إلى ضميريكما : . وبهذا أترككما . (يخرج)
 كلوديو : مولاي ، إنك لتستطيع اليوم
 أن تنفعني .
 دون بدرو : إن حبي لك يطلب علماً
 بما تريد ،
 فما عليك إلا أن تعلمه كيف يخدمك ،
 تجدده مستعداً لكل درس صعب فيه لك خير^(١)
 كلوديو : هل لليوناتو ولد يا مولاي ؟
 دون بدرو : ليس له إلا ابنته « هيرو » ،
 وهي وريثته الوحيدة ،
 فهل تحبها يا كلوديو ؟
 كلوديو : آه يا مولاي ،
 حين ذهبت إلى هذه الحرب التي وضعت أوزارها منذ قليل ،
 كنت أنظر إليها بعين جندي ينازعه الميل .
 ولكن أمامه مهمة أشق من الدفع بعاطفة « الميل »
 إلى اسم « الحب » ، أما الآن فقد عدت ،

(١) استعارة من التعليم والتلقين ، ومعناها « أفهمني ماذا تريد أن أفعل في سبيل خدمتك وأنا لا أتردد » .

ونحلا الذهن من أفكار الحرب ،
 وحلت مكانها كثرة الأمانى العذبة الرقيقة ،
 تدفعني كلها إلى التفكير في مدى حُسْن هير وفتنة جمالها ،
 وقد قلت إنني كنت « أميل » إليها ،
 قبل أن أذهب إلى الحرب ^(١) .

دون بدرو : لن تلبث أن تصبح عاشقاً مستهماً ،
 تتعب سامعيك بأحاديث الحب ، وكتب العاشقين ^(٢) ،
 فإن كنت تحب الحسناء هير ،
 فاحرص على حبها ، وامض فيه ،
 وسأحمل النبا إليها ، وأتحدث إلى أبيها ، وستكون لك .
 أليس هذا هو الغرض
 الذي مضيت من أجله تحيك نسج القصة الممتعة ؟

كلوديو : ما أبدع علاجك للحب ؟ !
 إنك لتعرف أحزانه من سماته ،
 وخشية أن يبدو حيي مفاجئاً أكثر مما ينبغي ،

(١) يريد أن يقول إنه كان مجرد « ميل » في نفسه قبل الذهاب إلى الحرب ، ولكنه حين عاد منها وزالت أفكار القتال ومشاغله ، بدأ ينم النظر في جمالها ، وخاصة أنه كان « يميل » من قبل إليها .

(٢) اعتاد شكسبير أن يقرن الحب بالكعب في أكثر من رواية .

وددت لو أنى تشفعت له^(١) بأطول من هذا حديثاً .

دون بدرو : وهل يحتاج الجسر ،
أن يكون أعرض كثيراً من النهر ،
إن أجمل المنح ما ينى بالضرورة^(٢) ،
وكل ما يؤدى الغرض « يجدى »
وحسبى أن أعلم أنك نضو حب
لكى « أجدى » عليك بدوائه^(٣) ،
إننا سنقضى الليلة فى قصف ومرح
وسأنتحل شخصك متنكراً ،
وأدعى للحسنا هير و أننى كلوديو
وسأكشف لها عما فى قلبى .
وأستولى على سمعها
بقوة بيانى ، وقصة حى .

(١) فى الأصل أضافته أو فسرتة أو طليته بطلاء يزيده رواء .

(٢) استعارة من القناطر والقنوات . والمعنى لا يحتاج الأمر إلى بيان كثير . وقد بنى على هذا المعنى العبارة التالية التى لا تبدو واضحة ولكن المراد بها أن ليس للإنسان فى تلبية رجاء يتقدم به إلى آخر من عذر أوجه من الضرورة التى تقضى بوجوب تلبية والمعنى لا ضرورة لزيادة الشرح لأن الموضوع ظاهر .

(٣) كل ما يؤدى الغرض « يجدى » ولكى « أجدى عليك » بدوائه - مقابلة للتقريب بين الطباق فى الأصل .

ثم أحمل النبا بعدئذ إلى أبيها .
فبينهم الأمر بظفرك بها ،
هيا بنا ننفذ هذه الفكرة في الحال .

(يخرجان)

المنظر الثاني

في إحدى حجرات بيت ليوناتو
يدخل ليوناتو فيلتقي بأنطونيو

ليوناتو : ماذا تم يا أخي .

وأين ابن أخي ، ولدك ؟

هل أعد الموسيقى ؟

أنطونيو : إنه منهلك بإعدادها ،

ولكني سأقص عليك الساعة

يا بن أمي

أبناء عجيبة لم تحلم بمثلها .

ليوناتو : أهى أبناء سارة ؟

أنطونيو : كما يوحى « طابع » أحداشها^(١) .

(١) استخدم شكسبير كلمة « طابع » هنا والمعنى أن أهمية النبا تقاس بجوهره أو مخبر

ولكن مظهره على كل حال حسن .

ولكن لها مظهراً حسناً ، وغطاء جميلاً ،
فقد استرق أحد رجالى السمع على الأمير والكونت كلوديو
وهما يمشيان خلال دغلة كثيفة فى بستانى ،
فسمع الأمير يفضى إلى كلوديو
أنه يجب كريمتك ابنة أخى ،
وأن فى نيته أن يعلن ذلك اللبابة فى المرقص ،
فإن وجدها موافقة أمسك بالفرصة من شعرها^(١)
فكاشفك فى الحال باللبأ .

ليوناتو : هل أوفى الرجل الذى نبأك بهذا مسكة من الفطنة ؟
أنطونيو : إنه الذكى الفطن . سأبعث فى طلبه لتسأله بنفسك .
ليوناتو : كلا . كلا - دعنا نعد ذلك حليماً حتى يتحقق .
ولكنى سأقصه على ابنتى
حتى تستعد للجواب إن صح .
اذهب أنت فنبها (يدخل الأتباع)
يا أبناء العم^(٢) أحسبكم تعرفون ما عليكم .

(١) استعارة ، وقد اعتادها شكسبير فى كثير من رواياته ، وقد رأيناه أحياناً يقول
« يمسك بالفرصة من جدائلها ، أو من قرنيها » .
(٢) هكذا فى الأصل . والغالب أنهم من ذوى قرباء الفقراء .

آه أتوسل إليك يا صديقي أن تذهب إليها ،
وسأبقى أنا لأستعين بخبرتك ،
وأنت يا ابن أخي الكريم ، أرجو بذل المهمة .
(يخرجون)

المنظر الثالث

في الحجرة ذاتها
يدخل دون جون وكونراد

كونراد : يا للعجب ^(١) يا مولاي .
ما بالي أراك حزينا إلى هذا الحد ^(٢)
دون جون : لا حد للحادث الذي استوجب ذلك ،
ومن هنا كان حزني بغير حد .
كونراد : أخرى بك أن تستمع لصوت العقل .
دون جون : وأي خير في الاستماع له ؟
كونراد : إن لم يكن فيه علاج عاجل ،
ففيه على الأقل تصبّر إلى حين .

(١) هو في الأصل قسم بالعامية .

(٢) لعب شكسبير بهذه العبارة « إلى هذا الحد » فجعل دون جون يقول لا حد للحادث الذي استوجب حزني ، ومن هنا كان حزني متجاوزاً كل حد .

٧٠

ف - ١

دون جون : أعجب لك وأنت القائل عن نفسك :

إن « زحل » كوكبك^(١) .

كيف تريد أن تستخدم أشفية روحية لعلاج علة مودية !

ليس في إمكانى أن أخفي ما بي ،

إني لأحزن حين ينهض للحزن سبب .

فلا أبتسم لمزاح أى إنسان ،

وآكل إذا جعت

ولا أنتظر أحداً ، إذا وُجدت عندى شهوة إلى الطعام .

وأنام ، حين يداعب عيني النعاس ،

فلا أحفل بشئون الناس .

وأضحك حين أنشرح .

وأبتهج حين تسر النفس وتفتتح ،

ولا أجارى إنساناً في هذره^(٢) .

كوزداد : نعم ، ولكن ينبغي أن لا تبدى ذلك كله ،

حتى يتيسر لك أن تبديه دون أن يكون عليك في ذلك حرج .

(١) رأينا الشاعر يتحدث كثيراً عن « الطوالع » وعلاقة الناس وأمزجتهم ومصايرهم بالكواكب . وكان الأقدمون يعتقدون أن الذين يلتق مولدهم بزحل يبدون متجهمين مكشئين سريعي الانفعال .

(٢) أى : نه رجل صريح في سائر حركاته وتصرفاته .

لقد رأيناك من عهد قريب واجداً على أخيك ،
ثم ألفيناها أخيراً يدخلك في حظوته ، ويشملك بمرضاته ،
ولست بمستطيع أن تحتفظ بمكانتك هذه ،
إلا إذا خلقت أنت الجو الطيب ،
وأول بك أن تهبي أنت الموسم الذي يوائم حصادك .
دون جون : إلى لأوثر أن أكون زهرة برية ، فوق سياج أو باب ،
على أن أكون وردة جميلة في حديقته ،
ولأنه لأنسب لمزاجي أن أكون عند الناس موضع ازدراء ،
من أن أغير طبعي لأستلب من أحد حباً ،
أو أنال منه المودة غصباً ،
ولإذا لم أوصف لهذا السبب بأني رجل غير متملق ،
فإن أحداً لا ينكر على أني أخو شر صريح ،
لقد وثقوا بي بعد أن عقدوا لساني ،
وأطلقوني بعد أن وضعوا النير حول رقبي ،
ولهذا قررت أن لا أغني وأنا حبيس في قفصي ،
ولو كان في طليقاً لعضضت ،
ولو أعطيت حررتي لفعاءت ، وفق مشيتي .
أما والأمر ليس كذلك ،
فدعني كما أنا .

ولا تلتمس لى تغييراً ولا تبديلا .

كونراد : ألا تستطيع استخدام شىء من سخطك وضعينتك ؟

دون جون : كل الاستخدام ، إذ ليس لى سواهما . . .

ترى من هذا القادم . . ؟

(يدخل بوراشيو)

دون جون : ما وراءك يا بوراشيو ؟

بوراشيو : لإننى قادم من عشاء عظيم :

أقامه ليوناتو احتفالاً بالأمير أخيك ؛

وفى وسعى أن أحدثك

عن زواج معتزم .

دون جون : هل يصلح أساساً تبنى من فوقه شراً ،

ومن هو هذا الأحق الذى يريد أن يبنى بمحنة ؟

بوراشيو : فى الحق إنه مساعد أخيك الأيمن

دون جون : من ؟ كلوديو ، أشد الناس رشاقة وأكثرهم تألقاً ؟

بوراشيو : أى نعم هو .

دون جون : إنه امرؤ مليح ! (١)

ومن . . . وإلى من تراه يتجه ؟

(١) وصف ساحر وقوي .

- بوراشيو : إلى هير و ابنة ليوناتو ووريشته
ما في ذلك شك .
- دون جون : إنها لفتاة نصجبت قبل الأوان ،
ومن أين عرفت هذا ؟
- بوراشيو : عهدوا إلى "بحرق البخور في الحجرات وتعطيرها ،
وفيا كنت أعطر غرفة زهمة ،
إذ جاء الأمير وكاوديو يسيران يداً في يد
وهما في حديث جدى ،
فاختبأت من فوري خلف الستار وتصنت عليهما ، فسمعتهما
يتفقان على أن يتقدم الأمير إلى هير و فيخطبها لنفسه ،
فإذا ظفر برضاها أسلمها إلى الكونت كلوديو .
- دون جون : هلموا بنا ، هلموا إلى هناك .
فقد يصلح هذا غداء لسخطي ،
إن هذا الفتى المحدث النعمة
هو الذى ارتفع على أنقاضى ،
ولو استطعت أن أحول دون غرضه بأى سبيل ،
لعددت نفسى السعيد من كل ناحية .
- كونراد : كلا كما رجل موثوق به ، وسوف تساعدانى ، أليس كذلك ؟
حتى الموت يا مولاي .

دون جون : هلموا بنا إلى مأدبة العشاء الكبرى ،
إن بهجتهم لتغدو أبلغ وأكبر إذا رأوني مستسلماً مستكيناً ،
ليت الطاهي كان من رأيي ،
أنذهب لنحاول ما نستطيع فعله ؟
بوراشيو : إننا في خدمتك يا مولاي .

(يخرجون)

الفصل الثانى

المنظر الأول

قاعة فى دار ليوناتو

يدخل ليوناتو وأنطونيو وهيرو وبياتريس وآخرون

ليوناتو : ألم يحضر الكونت جون العشاء هنا ؟

أنطونيو : لم أره .

بياتريس : لشد ما يلوح هذا السيد نكدأ مكتئباً ،

ما رأيته مرة إلا أحسست حرقه قلب
ساعة بعد رؤيته^(١) .

هيرو : إنه ذو مزاج سوداوى .

بياتريس : ما أبدع الرجل الذى

هو وسط بينه وبين بنيدىك :

أحدهما أشبه بصنم لا يتكلم ،

والآخر أشبه شىء بالابن الأكبر المدلل لا يكف عن الثرثرة

(١) تعنى الحرقه التى يشعر المرء بها عقب تناول طعام حريف ، إشارة إلى حموضة مزاج

(٢) أى لو أن الرجلين مزجا لكان من مزيجهما رجل بديع . وفى الأصل عن الابن ا

قوله « الابن الأكبر لسينق » وهو تعبير لا يقصد به سيدة معينة ولكن المراد منه هو أ

الأبناء الذى سوف يرث أبويه ، كما هو الشأن فى قانون الوراثة عند الإنجليز ، ومن ثم ي

المدلل فى الأسرة فلا يكف عادة عن الكلام .

- ايوناتو : ليت نصف لسان السنيور بنيديك
في فم الكونت جون .
ونصف كآبة الكونت جون في وجه السنيور بنيديك .
- بياتريس : إن رجلاً كهذا يا عماه ، إذا جمع إلى ما وصفت .
ساقاً طيبة ، وقدماً حسنة ، ومالاً في كيسه كافياً ،
لظافر بأية امرأة في العالم ،
إذا استطاع كسب مرضاتها .
- ليوناتو : يمين الحق يا ابنة الأخ ،
لن تصيبي على الدهر كله زوجاً إذا ظل لسانك
على هذا النحو سليطاً .
- أنطونيو : في الحق إنها ذات لسان مفرط في سلاطته .
بياتريس : المفرط في سلاطته معناه أكثر من سليط ،
وحاشا أن أغض من عطية الله من هذه الناحية ،
فتد قيل إن الله يعطي البقرة الشكسة قرنين قصيرين ،
ولكنه لا يهب الشكسة أكثر مما ينبغي شيئاً من القرون^(١)
- ليوناتو : ومعنى هذا أن الله لن يعطيك قروناً
ما دمت سليطة أكثر مما ينبغي .

(١) مثل قديم لعله مثل لاتيني ومعناه أن الله يهب قروناً قصيرة للثور الشرس ، أى إن الغضاب من الناس لا يستطيعون الإيذاء الذي يظن أنهم القادرون عليه .

بياتريس : هذا يصدق كل الصدق ، إذا هو لم يهينى زوجاً ،
وهي نعمة أشكرها له وأصلي له من أجلها كل صباح ومساء ،
رباه إني ، لا طاقة لي بزواج ذى لحية ،
وأوتر الرقاد بين الأغطية الصوفية من غير ملاءات (١)
ليوناتو : قد تقعين على زوج لا لحية له .

بياتريس : ماذا أصنع به ؟
أألبسه ثوبى وأتخذة وصيفة لي ؟
فأما من أوتى لحية فهو أكثر من شاب ،
وأما من لا لحية له فهو أقل من رجل ،
ومن هو أكثر من شاب لا يصلح لمثلي ،
ومن هو أقل من رجل لا أصلح أنا له ،
فالحير لي إذن أن آخذ دراهم معدودات من القراء
وأستاق قردته إلى الجحيم .

ليوناتو : وهل تدخلين عندئذ الجحيم ؟
بياتريس : كلاً . . . بل أسير بها إلى الباب
فيلتقى إبليس بى لديه ، ديوثاً شيخاً
ذا قرنين ، فيقول لي :

(١) أى تفضل عند النوم النطاء المألوف كناية يرمى بها إلى الشعر الذى تجتمع منه لحية الرجل ، ولكنها أيضاً لا ترضى بزواج غير ملتج ، ولها فى ذلك تعليل لطيف كما سيرد .

« اذهبي بياتريس إلى الجنة ، لا مكان هنا للأبكار » ،
وعندئذ أسلمه قرودى^(١) ، وأنطلق إلى القديس بطرس في الجنة
فيربني المكان الذي يقيم فيه العزاب ،
فنعيش هناك ونمرح ما طال النهار .
أنطوني : (مخاطباً هيرودس) يقيني أنك ستطوعين أباك وترضين بولايته .
بياتريس : أجل والله ، إن واجب ابنة عمي
أن تنحني لأبيها أدباً وتقول :
« أبت ، أفعل ما تشاء » ،
ولكن ليكن فتي وسيما ،
ولما انحنى لأبيها انحناءة أخرى
وهي تقول : « أبت ، أفعل ما أشاء » .
ليوناتو : أرجو يا ابنة الأخ أن أراك يوماً ذات زوج .
بياتريس : حاشا . . حتى يخلق الله الرجال
من عنصر آخر غير « التراب » .
ألا يحزن المرأة أن تسيطر عليها قطعة من حمأ مسنون ؟ ،

(١) في الأصل « مجد » أى فعلا ، وهو العريون على قبول العمل وقتلنا المنتقل بالقردة
تجاوزا ، لأنه في النص صاحب الدببة الذي ينتقل في الموالد والمهرجانات لحملها على الرقص
أمام المشاهدين . وأكبر الظن أن استيقا القردة إلى الجحيم ، جزء من مثل قديم يشير إلى فكرة
شائعة وهي أن النساء اللاتي يأمين الزواج مقضى عليهن بعد الموت ، بالطواف بها حول جهنم
وقد وردت هذه العبارة في رواية أخرى لشكسبير . ولكن لا يدرى أحد سر تحديد هذه العقوبة لمن .

أليس أليما لها أن تقدم حساباً عن حياتها إلى
قبضة من تراب جاف ؟

كلا يا عماء ، لن يكون لى بعل ،
إن أولاد آدم لإخوتى ، وفى الحق لإننى
لأعد الزواج من ذوى قرابتي إعماً^(١)

ليوناتو : تذكرى يا ابنتى ما قلته لك ،
إذا فاتحك الأمير فى هذا الأمر^(٢)
فأنت تعرفين الجواب .

بياتريس : سيكون الذنب يا ابنة العم ذنب الموسيقى
إذا لم تُخطبى فى الحين المناسب .
فإن رأيت الأمير ملحقاً ملحقاً فقولى له :
إن الاعتدال مطلوب فى كل شىء ،
وانطلقى بالجواب خطرناً ورقصاً ،
واعلمى يا هيرو أن الغزل
ثم القران ، ثم الندامة ، أشبه برقصات ثلاث ،

(١) تحليل جميل لكراهيتها الرجال وعدم رغبتها عن الزواج ، فقد بدأت بالسخرية
وعملت كراهيتها للقران بالكبرياء ، لأن الرجل مخلوق من تراب ، ثم انتهت متلطفة فقالت إنهم
إخوتها من آدم ، ومن الإثم أن تتزوج الأخت أخاها .
(٢) أى الخطبة والقران . فى الأصل « مهما » ولكن الصحيح هو ما ذكرنا للتشابه فى
الإنجليزية بين مهم وملحاح .

وهي الرقصة الإسكتلندية السريعة الدوامه ، والرقصة المتثدة المتزنة . والخطوات الخمس^(١) .

فأما الأولى وهي « الخطبة » فحارة عجل
كالرقصة الإسكتلندية

وأما خطوة القران فمعتدلة كالرقصة الثانية

وإن حفلت بكل ما شئت من فخخة ،
وحشمة وحفاظ قديم :

ثم تأتى خطوة الندامة فتتخاذل فيها من الرجل الساقان ،
وتمضيان إلى الرقصة الثالثة وشيكاً وتحولان ،
حتى يتردى الرجل في قبره .

ليوناتو : إنك لعليمة بفنون الرقص خبيرة يا ابنة العم !

بياتريس : إن لى عيناً حديدية يا عماء ،

وأستطيع أن أبصر

كنيسة على ضياء النهار^(٢)

(١) استعارة من الرقص . وقد أجاد شكسبير وصف الأدوار الثلاثة والخطوات الخمس

رقصة الرقم ٥ . وهي تسمى بالفرنسية « سافك پا » وكذلك وردت في النص .

(٢) هكذا في الأصل ، ولكن المراد أنها تستطيع الذهاب إلى الكنيسة ليعقد فيها قرانها

أى إنها مدركة ماذا وراء الزواج وجملة متاعبه .

ليوناتو : المدعوون يا أخى قادمون ، فافسحوا لهم .

(يضع الجميع أفئنتهم على رءؤهم)

(يدخل دون بدرو - وركلويو - وبنيديك - وبلتازار -
ودون جون - وبوراشيو - ومرجريت - وأرسولا - وغيرهم
والجميع مقننون) .

دون بدرو : أيتها السيدة هل تسمحين بأن تخطرى مع
صديق لك ؟

هيرو : بشرط أن تخطر برفق . وتنظر بلطف ،
ولا تقول شيئاً ، لأننى لك سيراً وخطراناً ،
وخاصة حين أنسحب .

دون بدرو : وأنا فى صحتك ؟

هيرو : قد أقول ذلك ، حين يروقنى .

دون بدرو : ومتى يروقك أن تقولىه ؟

هيرو : حين يرضينى وجهك ، ويعجبينى محياك ،

وأرجو الله أن لا يكون المزهـر كخطائه (١) .

دون بدرو : إن قناعى هو سقف فيلمون .

فى بيت زفس .

(١) أى إن القناع الذى تغتبت به قبيح ولا مسحة عليه من جمال ، وأعوذ بالله إن كان
الوجه الذى يخفيه قبيحاً مثله . والمزهـر كفعل هو القيثـار .

- هيرو : أولى به إذن أن يكون من قش^(١)
- دون بدرو : اغضضى من صوتك ، إذا شئت الكلام في الحب
(يتحى بها جانباً)
- بلتازار : (وهو يراقص مرجريت) أود لو أنك تميلين إلى .
- مرجريت : لا أود أن أفعل . وهذا من أجل مصلحتك
لأن لى عيوباً كثيرة .
- بلتازار : وما هو أولها ؟
- مرجريت : إننى أجهر بصلاتى
- بلتازار : هذا ما يزيدنى لك حباً . . .
- فقد يصيح السامعون آمين
- مرجريت : اللهم هبى راقصاً بارعاً .
- بلتازار : آمين
- مرجريت : والله أبعدله من عينى
- إذا انتهى الرقص . . . أجب يا كاتب^(٢)

(١) يشير شكسبير هنا إلى قصة « فيلمون » فى الأساطير اليونانية القديمة فقد كان فيلمون زوجاً ليتوئيس ولما زار زفس وهرمس مدينة « برجيا » التى يتسمى فيلمون إليها متكرين فى زى البشر لم يقبل أحد لإكرام مشواهما إلا فيلمون وامرأته فقد استضافاهما فى كوخ حقير ذى سقف معروش فجزاهما زفس أحسن الجزاء وعاقب أهل برجسيا بسيل عرم . وحقق الأمانة الوحيدة التى كانت لهما وهى أن يموتا معاً فى لحظة واحدة .

(٢) هو فى الكنيسة الموكل بالقناديل أو « القندلفت » وإشارة هنا عند انتهاء كل صلاة أن يقول آمين .

- بليتازار : لا كلام عندي . . لقد تلقى الكاتب الجواب .
- أورسولا : (لأنطونيو وهي تراقصه) أعرفك حق المعرفة ، فأنت
السناتور أنطونيو .
- أنطونيو : ثقي أنني لست هو .
- أورسولا : أعرفك بهزة رأسك .
- أنطونيو : إن شئت الحق قلت إنني أقلده .
- أورسولا : ما كان في وسعك أن تجيد تقليد معايبه إلى هذا الحد
لو لم تكنه حقاً .
- ها هي ذي يده الخشنة تعلو وتهبط .
- أنت هو . . . أنت هو .
- أنطونيو : ثقي أنني لست هو .
- أورسولا : أقبل ! أقبل ! أتجسني لا أعرفك
من حدة ذكائك وفائق فطنتك ، وهل في وسع الفضيلة
أن تخفي نفسها ، هيا قل إنك هو .
- الفضل ظاهر ، فلا مجال لقول قائل .
- بياتريس : (وهي تراقص بنيديك) ألا تريد أن تنبئني من قال لك ذلك؟
- بنيديك : كلا ، ومغفرة .
- بياتريس : أولاً تنبئني من أنت ؟
- بنيديك : لن أنبئك بذلك الآن .

بياتريس : إن الذى قال عنى لئننى متكبرة متعجرفة
 وأن نكأتى البارعة مأخوذة من « المائة نادرة »
 هو السنيور بنيديك^(١)
 بنيديك : ومن يكون ؟
 بياتريس : لئننى على يقين من أنك تعرفه
 جد المعرفة .
 بنيديك : لست أعرفه . . . صديقى
 بياتريس : ألم يُسّر يوماً فى نفسك الضحك ؟
 بنيديك : أناشدك من هو ؟
 بياتريس : كيف هذا ؟ إنه مهذار الأمير^(٢) ،
 وهو مضحكه ، سميع ، كل موهبته اختراع
 فريات ووشايات لا تعجز على عاقل ،
 ولا يستروح إليها غير الفتيان المستهترين ،

(١) هو كتاب « نكت » قديم طبع فى سنة ١٥٢٦ وكل النكات فيه « سقيمة » وقد
 وصف بنيديك أمازيح بياتريس هذا الوصف وهو يريد به أن نكأتها كذلك وأنها محفوظات
 لا نكات تأتى على البديهة . والكتاب يحوى مائة قصة أو نادرة ولعله ترجمة كتاب « ديكاميرون »
 الذى وضعه بوكاشيو الإيطالى وكان قد نقل إلى الإنجليزية فى عهد شكسبير .
 (٢) كان لدى كل أمير « مهذار » أو مهرج فى خدمته . وقد كتبت مارى لام أخت
 تشارلس لام فى كتابها « قصص من شكسبير » تقول إن هذه الكلمة كانت أعمق أثراً فى
 نفس بنيديك من سائر نكات بياتريس ونخرىاتها . وقد اعترف بنيديك بذلك فى مناجاته لنفسه
 كما سيرد بعد .

لا يرضيهم منه ذكاؤه وإنما يثيرهم خبثه ،
فهو يرضى الناس ويغضبهم . فيضحكون منه ثم يضربونه ،
وأنا واثقة أنه بين الحاضرين ،
وددت لو أنه تعرض لى .

بنيديك : سأقول له كل هذا حين أعرفه .

بياتريس : أرجوك أن تفعل . وسوف ينالنى بنكتة

أو نكتتين وقد لا يتبته أحد إليها .

ولا يجد من يضحك لها . فنتابه الكتابة ، ويصبيه الغم ،
وفى ذلك اقتصاد جناح بطة ^(١) .

لأن هذا المغفل لن يأكل الليلة . (تنزف الموسيقى)

دعنا نتبع الراقصين الأولين .

بنيديك : فى كل شىء حسن .

بياتريس : أجل ، وإذا ساقانا إلى شين

تركتهما عند أول منعطف .

(رقص ، ثم ينصرف الجمع عدا دون جون وبوراشيو وكليديو)

دون جون : لا شك عندى فى أن أختى مستهامة بهيرو

وقد انتحى بأبيها ناحية ليتحدث إليه عنها ،

وقد رأيت السيدات يتبعنها :

(١) أى سيفر شيئاً من الطعام لأنه سيتألم فلا يقبل عليه .

ولم يبق غير وجه واحد ملثم .

بوراشيو : وهو وجه كلوديو . إنني أعرفه من سمته .

دون جون : أألسـت السـنيور بنـيديك ؟

كلوديو : أنت تعرفني حق المعرفة . أنا هو .

دون جون : أنت يا سنيور صاحب سر

أخي^(١) في حبه ، إنه بهيرو مغرم كلف ،

أناشدك أن تُشنيه عن حبها لأنها لا تساويه مولداً ،

ولو قد فعلت ، لأدبت إليه ما يؤديه الناصح الأمين .

كلوديو : من أين عرفت أنه يحبها ؟

دون جون : لقد سمعته يقسم أنه يحبها .

بوراشيو : وأنا كذلك ، وقد حلف أنه سيتزوج بها الليلة .

دون جون : هلم بنا إلى المأدبة

(يخرج دون جون وبوراشيو)

كلوديو : (مناجياً نفسه) هكذا أجبت باسم بنيديك ،

وإن سمعت نبأ سوء بأذني كلوديو .

إن الأمر مؤكد فإن الأمير يخطبها لنفسه .

إن الصداقة في كل شيء وفتية وهوضع ثقة إلا في خدمة الحب .

(١) من هيته أو حركاته أو مظهره في الأصل أنك قريب جداً منه في حبه ولكن المعنى

المراد هو أنه يعرف كل شيء عن هذا الحب ، وأن أخاه يثق به ويتحدث إليه عنه .

وشعونه ، ولهذا السبب ينبغي للقلوب المحبة أن لا تستخدم
سوى ألسنتها ولتفاوض كل عين عن ذاتها ، ولا تثق بأحد
يتولى المفاوضة عنها .

لأن الجمال ساحر ،

لا يلبث الوفاء حيال فتونه أن يستحيل هياماً .

وأن هذا الحادث ينهض الدليل في كل ساعة على صحته ،
ولكنى لم أظن إليه ، ولهذا وداعاً يا هير و . . .

إني عنك لمنصرف

(يدخل بنيديك)

بنيديك : الكونت كلاديو ؟

كلاديو : نعم . ها أنذا

بنيديك : هلم . . . ألا تأتي معي ؟

كلاديو : إلى أين ؟

بنيديك : إلى أقرب صفصافة^(١) يا كونت ،

فهناك المكان الذي يليق بك ،

قل لي في أى شكل تريد أن تضع إكليلك^(٢) ؟ ،

(١) الصفصافة : رمز الحب البائس .

(٢) أى أذبل من الصفصاف .

- أحول عنقك كسلسلة المرامي^(١) ؟ .
- أم حول ذراعك كشارة الضابط^(٢) ؟ .
- واحدة من اثنتين . لأن الأمير قد ظفر بهيرو والتي فتنك .
- كلوديو : ليفرح بها
- بنيديك : ما هذا ! إنك لتتكلم بلهجة بائع الماشية الأمين في سوق العجول، ولكن هل كنت تظن الأمير فاعلا بك هذا؟
- كلوديو : إليك عنى . . . أرجوك .
- بنيديك : وى . . إنك الآن تتخبط كالأعمى اصطدم بالعمود .
- إن الغلام هو الذى سرق لحمك ،
- ولكنك تصطدم بالعمود^(٣) .
- كلوديو : إذا لم تنصرف عنى انصرفت أنا عنك . (ينصرف)
- بنيديك : (لنفسه) وأسفاه . . أيتها الدجاجة الجريح المسكينة . .
- إنها الساعة متسللة إلى العشب الملتف تخفى جرحها . .

(١) كانت عادة كبار الناس والتجار وهم يوبئد المرامي أن يلبسوا سلاسل من الذهب ، كما يفعل اليوم في بريطانيا أصحاب المناصب في الحفلات الرسمية .

(٢) كالوشاح يلبس فوق إحدى الكتفين وتحت الذراع المقابلة . والمعنى هل أنت معزوم أن تفعل كاليهود والمرايين في هذه المسألة فتطالب الأمير بتعويض عن خسارتك أو في نيتك أن تكون جندياً فتطلب إليه المبارزة غضبة لكرامتك ؟

(٣) حكاية كانت معروفة في ذلك الحين عن رجل أعمى سرق غلام لحمًا له وحاول الفرار به ، فجعل الأعمى يعلو وراه فيصطلم بعمود في طريقه وهو لا يشعر .

ولكن سواء عرفتني السيدة بياتريس أو لم تعرفني :
مهذار الأمير^(١) . . . ها . . . ها . . . لعل حملت هذا اللقب
لأنى أخو فكاهة مرح .
نعم . غير أنى بذلك أسىء إلى نفسى .
ولكنى لم أشتهر بهذا . وإنما هى نزعة
ببياتريس السافلة ،
وفطرتها المريرة التى جعلتها تضع العالم كله فى شخصها ،
وتصفى بهذا الوصف . ولكنى سأنتقم منها إذا وجدت
إلى الانتقام سبيلا .

(يدخل دون بدرو)

دون بدرو : والآن يا سنيور أين الكونت ؟ ألم تره ؟

بنيديك : يمين الحق يا مولاي . .

لقد مثلت دور السيدة « شائعة »^(٢) :

فقد وجدته هنا ساهماً كثيراً ككوخ الحارس الموكل بأرض

(١) فى مناجاته لنفسه يردد كلمة قالتها نه بياتريس وهى أنه مهذار الأمير وقد جرحته هذه الكلمة وتآلم لها أنه الألم كما يبدو هنا ، ولكنه عاد يسرى عن نفسه بأن أحداً لم يقل هذا عنه ، إنما هى من فرط غروها ووسعت العالم كله فى شخصها ورمت بهذه التكنية .

(٢) أراد شكسبير بهذا أن يجعل « الإشاعة » سيدة فدعاها « السيدة إشاعة » من قبيل إطلاق العاقل على غير العاقل . والمعنى أنه يمثل دوره وأنه سيحكى لدون بدرو ما جرى بينه وبين كلوديو والنسب الذى - - هذا حين سمع النبأ منه .

صيد^(١) فأنبأته ، وأحسبني أنبأته الحق ،
 إن مولاي ظفر برضى هذه الغانية الشابة ،
 وعرضت عليه أن يصحبني إلى شجرة صفصاف ،
 لأصنع له إكليلا من ورقه
 شأن الفاشل في حبه ،
 أو لأعد له منها عصا لأنه استوجب الضرب .

- دون بدرو : الضرب ؟ وما الذنب الذي أنأه ؟
 ينيديك : ذنب تلميذ تنأهى به الفرح بالعثور على عش عصافير
 فأراه لصاحبه فسرقه هذا الصأحب .
 دون بدرو : هل تعد الثقة ذنباً ؟
 إن الذنب ذنب السارق .
 ينيديك : ولكن هذا هو الذي جرى . العصا أعدت ، والإكليل
 عقد ، ولم يكن هذا عبثاً .
 فأما الإكليل فقد كان من الجأئر أن يلبسه هو ،
 وأما العصا فلعله منعهم بها عليك ،
 لأنك كما فهمت منه سرقى عش عصافيره .
 دون بدرو : سأعلمها الشدو ثم أردأها إلى صاحبها .
 ينيديك : يميناً لقد قلت حقاً إن تحقق ما تقول .

(١) في مزوعة أرنأب يقوم كوخ صغير للحارس ، وهو بطبيعة الحال منزل بعيد من الناس قائم .

دون بدر : إن السيدة بياتريس منك غضبي ، فإن السيد الذي راقصها
نبأها أنك أخطأت كثيراً في حقها .

بنيديك : لقد أساءت إلى إساعة

لا يحتملها الصخر ،

ولو أن سرورة لم يبق عليها غير ورقة خضراء

لما أطاقت السكوت عليها .

إن قناعي نفسه لم يلبث أن دبث فيه الحياة

فرد عليها وكال لها بكيها .

لقد قالت لي ، وهي لا تظن أنني أنا مراقصها :

« إنني مهذار الأمير ، وإنني أبرد من لوح تلج ،

ومضت ترميني بنكتة في إثر نكتة ببراعة لا يتصورها العقل ،

حتى لقد لبثت أمامها كأنني هدف لرمية جيش بأكمله .

إن كلماتها كالخناجر وكل لفظة منها طعنة سنان ،

ولو كانت أنفاسها في مثل بشاعة كلماتها ،

لما توانت الحياة لأحد بقرها . بل لأصابت نجم القطب

الشمال بعدواها .

ولست أرضى الزواج بها

حتى ولو أتيح لها كل ما أنعم به على آدم قبل الخطيئة^(١) .

(١) أي كل ما أنعم الله به على آدم من سمو ورفعة على جميع مخلوقاته الأخرى .

ولو أن هرقل مَنى بها لجعلته يقلب على الجمر سفودا ،
 بل لكسر عصاه ليجعل منها وقوداً^(١) .
 دعنا من الحديث عنها ،
 فلإنك لوأجدها ربة الجحيم « آتى » القديمة^(٢)
 فى زى حُسْن ، وليت الله
 يقيض لنا عالماً يبطل سحرها ، ويطردها عنا شرها^(٣) ،
 وما دامت هنا بيتنا ،
 فليس من شك فى أن المرء ليحيا فى
 الجحيم هادئاً راضياً كأنه فى الجنة ،

(١) إشارة إلى قصة هرقل وأومفال ، وهى أن هرقل فى نوبة جنون قتل صاحبه إيفيناس فأصيب بمرض جزاء له على جرمه ، ولم ينج منه إلا ببيعه عبداً رقيقاً ليخدم أوفال ثلاث سنين فلم يلبث أن وقع فى هوى مولاته وليس زى النساء وجعل ينزل الصوف كما ينزلن ويعمل عدة أعمال مهينة أخرى . فيشوى الطعام على السفود ويقلبه على الجمر وقد كسر عصاه التى كان معروفاً بها فى الصور التى رسمت له حتى تظل النار تحت السفود متأججة .

(٢) ابنة زيوس التى ورد فى الأساطير اليونانية أنها كانت تقود الآلهة الأخرى والرجال إلى القيام بأعمال تَمَّ عن مليش ، ثم تسوقهم إلى حتوفهم ، وهكذا تجعل الإثم ذاته يضع عقوبته فهى من هذه الوجهة ربة الانتقام . وقول المؤلف « فى شكل جديد » معناه أنها « آتى » الأخرى أو الجديدة التى ظهرت فى شكل حديث . وقد رأينا الشاعر يكثر من إيراد اسمها خلال مختلف رواياته .

(٣) أى كما يفعل السحرة حين يطلقون البخور ويرددون كلمات غير مفهومة لطرد الجن والأرواح الشريرة من أجسام المصابين بها .

ويرتكب الناس الخطيئة عامدين ،
لأنهم يريدون الذهاب إلى جهنم ،
فالشر والنكر والفوضى كلها تبع لها وحشم .
دون بدرو : حذار — إنها قادمة

(يدخل كلوديو وبياتريس وهيرو وليوناتو)

بنيديك : ألا تأمرني يا مولاي بتأدية أية خدمة لك في أقصى الأرض ،
أود لو أرسلت في
أتفه مهمة تشير بها في الجهة المقابلة لهذه القارة ،
بل إنى لراض أن ألتبس لسماحتك
سواكاً من أبعد ركن في آسيا ،
أو آتيك بمقياس قدم القس يوحنا^(١)
أو شعرة من لحية الملك تشام^(٢)
أو أتولى أية سفارة لك لدى الأقزام^(٣) .

(١) برستر جون الذي ورد في الأساطير أنه ملك الهند أو أثيوبيا وقد سمي قساً لأنه آثر
أن يدعى كذلك و يتخلى عن لقب الملك وأقسم أن يتسمى بأول قس يلقا وكان هذا يدعى «جون»
فاتنحله .

(٢) اسم ملك المنول واشتهر بلحيته فليل لحية تيمور شام .

(٣) قوم قيل في الأساطير إنهم قصار القامات يعيشون في الهند وجاء ذكرهم في شعر
هوير وقال إنهم يعيشون على السواحل « أوشيانا » أي أوقيانوس .

فذلك عندي خير من التحدث بثلاث كلمات مع
هذا العقاب^(١) .

هل من خدمة أؤديها لك يا مولاي ؟

دون بدرو : لا شيء إلا رغبة الاستمتاع بمحضرِكَ .

بنيديك : رباه . يا سيدى . هذا طعام لا أسيغه ،

لأننى لا أطيق ذات اللسان^(٢) (يخرج)

دون بدرو : هلمى يا سيدتى . هلمى .

لقد خسرت قلب السنيور بنيديك .

بياتريس : لقد أعارني يا مولاي منذ هنية .

وأديت له الفائدة^(٣) ، قلين اثنين لقاء قلب واحد ،

يميناً لقد أحسنت في قولك يا مولاي إننى خسرت .

فقد كسبه مرة من قبل بنرد مزيف^(٤)

دون بدرو : لقد صرعت يا سيدتى . . لقد صرعت .

(١) العقاب من جوارح الطير - ومن فصيلة النور . ولكنه في الأساطير يوصف
بطائر كاسر له وجه امرأة.

(٢) ذات اللسان أى « السليطة » وفي الأصل « السيدة لسان » .

(٣) الفائدة مقابل تسليم قلبه بإعطائه قلبها .

(٤) تشير هذه العبارات ، على الأرجح ، إلى واقعة غرام قديمة بينهما كاد بنيديك
يخضع لبياتريس كما يؤخذ من قولها إنه كسب مرة بنرد مزيف ولكن لا يبدو شيء من هذه الواقعة
في المسرحية .

- بياتريس : ولهذا أود أن لا يفعل هذا بي يا مولاي
 مخافة أن أُعد أم الحمقى . .
 لقد جئت بالكونت كلوديو الذى أوفدتني للبحث عنه^(١)
 دون بدرو : كيف أنت يا كونت .
 وما بالى أراك حزينا ؟
 كلوديو : لست حزينا يا مولاي !
 دون بدرو : ما بالك إذن . . أمرض ؟
 كلوديو : لا هذا ولا ذاك يا مولاي
 بياتريس : ليس الكونت بمحزون ، ولا هو بمرضى ،
 ولا هو بمبهج ، ولا هو بموفور العافية ،
 ولكنه حمض قليلا كالبرتقالة الأشبيلية^(٢) .
 وبه شئ من أعراض الغيرة وسماها .
 دون بدرو : يميناً أيتها السيدة إنى لأحسب إشارتك هذه صادقة .
 وإن كنت أقسم أنه واهم فى تقديره إن كان كذلك .
 اسمع يا كلوديو لقد خطبت باسمك ،

(١) لم يرد من قبل شئ يوحى بأن دون بدرو طلب إليها البحث عن كلوديو .
 (٢) حمض - من الحموضة . ومن هنا وصفته « بالبرتقالة » والمواضع فى النام تدعى
 « الحمضيات » وقد أخذنا نحن إلى البرتقالة تولنا « الإشبيلية » لأن اللفظة (ash) معناها بين
 الخلاوة والحموضة وكانوا فى عهد شكسبير ينطقون لفظة Sivilis أى مدينة « أشبيلية » الأيبانية
 كأنها لنظة سيفيل .

- وفزت لك بالحسنة هير و ؛
وأفضيت بالنبا إلى أبيها وظفرت برضاها .
فعين يوم القران وأدعو الله لك بالهناءة .
ليوفاتو : خذ يا كونت منى ابنتى ، ومعها ثروتى ،
فإن قداسته خطب ،
والله جل جلاله أمن على خطبته .
بياتريس : تكلم يا كونت ، فهذه فرصتك^(١)
كلوديو : الصمت أكل بشائر الفرح ،
ولو وصفت مقدار سعادتى ، لأنقصت منها ،
سيدتى ، أما وأنت لى ، فأنا لك ،
لإنى لك واهب نفسى ، ومغبط بهذا التبادل .
بياتريس : تكلمى يا ابنة العم ، وإن لم تقدرى ،
فأغلقي بقبلة فمه ولا تدعيه هو الآخر يتكلم .
دون بدرو : يميناً أيتها السيدة لقد أوتيت قلباً مرحاً .
بياتريس : أجل . يا مولاي ، ولإنى لهذا القلب الأحق لشاكرة ،
لأنه يأتى إلا أن يبقى أبداً فى مأمن من الهيم ،
إن ابنة العم تقول له فى أذنه إنه يسكن فى قلبها .

(١) أو المفتاح - إشارة إلى أن الباب قد فتح ليتكلم ويعلن ما فى نفسه . ولكنه أجاب بقوله إن الصمت أكل بشائر الفرح كما ترى .

- كلوديو : ولانها لتسكن قلبي يا ابنة العم .
 بياتريس : رب . ألا من زوج ! (١) .
 أفكل إنسان يدخل الدنيا ما خلای . . .
 لقد لوحنتي الشمس (٢)
 فليس لي إلا أن أجلس في ركن أغني
 واهي . ألا من زوج ! (٣)
 دون بدرو : يا سيدتي بياتريس إن لك عندي زوجاً .
 بياتريس : إني لأؤثر أن يكون من ذرية أبيلك ،
 أليس لقد استلكت أخ علي غرارك ،
 لقد أنجب أبوك أحسن الأزواج ،
 لو أتيج لفتاة الظنر بأحدهم .
 دون بدرو : هل ترتضيني يا سيدتي ؟
 بياتريس : كلا يا مولاي ما لم يكن لي
 بعل آخر لأيام العمل (٤) ،
 لأن قد استلكت أغلي من أن تلبس في كل يوم .

(١) الكلمة في الأصل « مخالفة » ولكن المعنى كما يبدو وصلة من طريق الزواج أو نسب ومضاهرة .

(٢) المعنى الذي ترمي بياتريس إليه هو أنها قبيحة .

(٣) مطلع أغنية قديمة تدور حول لفظة البنات على الأزواج .

(٤) أي أنت لازينة فقط أيام الأسد ، وغيرك للسته الايام الباقية من الأسبوع .

- ولكننى أستمبحك مغفرة فقد ولدت هكذا ،
أقول هزلاً ، ولا أقول شيئاً ذا معنى .
دون بدرو : إن أشد ما يؤلنى أن لا تتكلمى ،
فإن المرح أليق شىء بك ،
فأنت بلا نزاع مولودة فى ساعة سعد
بياتريس : كلا بلا ريب يا مولاي فقد كانت أمى تبكى ،
ولكن كان هناك نجم فى السماء يرقص ،
ومن تحته جاء مولدى ،
يا بنى العم ، متعكم الله بالسرور .
ليوناتو : يا ابنة الأخ ، هلا عنيت بالأشياء التى قلت لك عنها (١)
بياتريس : أستاذك يا عمى ، مولاي عن إذلك .

(تخرج)

- دون بدرو : يمين الحق أنها لسيدة خفيفة الروح
ليوناتو : ليس فيها يا مولاي غير قليل من العنصر السوداوى (٢)
فهى لا تكتئب إلا فى المنام ،

(١) أراد عمها إخراجها ليخلو له الحديث مع دون بدرو .
(٢) العنصر السوداوى هو الماء لأن الأحياء فى هذه الخليقة مركبة من أربعة عناصر
وهى الهواء والتراب والنار والماء . وهى مقابلة للأخلاط الأربعة فى الجسم وهى الصفراء والبنفسج
والبلغم والسوداء ، ومن هنا كان الماء معناه السوداء .

ولا أحسبها حتى فيه بمكثبة

فقد سمعت ابنتي تقول :

إنها كثيراً ما حلمت بالبؤس ،

ثم استيقظت ضاحكة .

دون بدرو : إنها لا تطيق أن تسمع أحداً يتحدث إليها عن الزواج .

ليوناتو : بلى .. إنها لتستهزئ بكل خطابها وتردهم بذلك عن خطبتها .

دون بدرو : لو تزوجت بنيديك لكانت خير الزوجات !

ليوناتو : سبحان الله يا مولاي . . . لو لبثا زوجين أسبوعاً واحداً

لأدى بهما الحديث إلى الجنون .

دون بدرو : متى تنتوى يا كونت كلوديو الذهاب إلى الكنيسة ؟

كلوديو : غداً يا مولاي . إن الزمن يمضى على عكاز ،

حتى يستكمل الحب مراسمه .

ليوناتو : لن يتم هذا قبل يوم الاثنين يا بني العزيز .

أى بعد أسبوع ،

وهى فترة وجيزة لإتمام كل ما فى نفسى تحقيقه .

دون بدرو : لا تهز رأسك هكذا متبرماً بطول الوقت^(١) ،

ولكننى أؤكد لك يا كلوديو أن الوقت لن ينتضى علينا

ثقيلاً مضجراً ،

(١) فى الأصل « بطول النفس » أو الفترة التى يملك فيها المرء أنفله لىسريح .

فسأتولى خلاله إنجاز عمل من الأعمال التي فرضت قديماً
على هرقل^(١)

وهو تأليف قلبي السنيور بنيديك والسيدة بياتريس ،
والوصول بهما إلى ذروة التعاطف والمودة المتبادلة .

وبودي لو يتحقق زواجهما ولست أشك في تحقيقه ،
إذا تيسر لثلاثتكم تقديم المعونة التي سأوجهكم إليها .

ليوناتو : أنا معك يا مولاي ولو كلفني ذلك الشهر عشر ليال .

كلوديو : وأنا يا مولاي .

دون بدرو : وأنت أيضاً يا هير و الرقيقة ؟

هيرو : سأبذلّ يا مولاي جهدي المتواضع ،

في معاونة ابنة عمي على الظفر بزواج صالح .

دون بدرو : ليس بنيديك بأقل الرجال صلاحية للزواج^(٢) ،

وليس الأمل فيه زوجاً أضعف الأمل ،

(١) وكانت هذه الأعمال اثني عشر وقد فرضها عليه « أرسيتوس » ونعني بها [١] قتل الأسد - [٢] قتل الحية المتعددة الرؤوس كلما قطعت لها رأساً نبت لها رأس - [٣] صيد الوعل - [٤] القضاء على الدب - [٥] تنظيف الإسطبلات - [٦] قتل العصفور التي تأكل اللحوم البشرية في بحيرة سترمفالييس - [٧] القبض على الثور الكريكي - [٨] ترويض خيول الملك ديوميديس إلخ . والمعنى أنه عمل شاق كبعض هذه الأعمال التي طلبت من هرقل .

(٢) في الأصل كلمة مركبة نافية معناها أكثر الناس قلة أمل في أن يكون الزواج صالحاً وهذا ما عبرنا عنه بالاتباع في العبارة التالية .

وهذا هو كل ما في وسعي أن أمدحه به .
 إنه رجل عريق المتمد وأخو شجاعة مشهودة وأمانة مؤكدة ،
 وسأعلمك كيف تغرين ابنة عمك بحب بنيديك ،
 وأتولى أنا بعونكما الأمر من ناحية بنيديك نفسه ،
 رغم حاضره بديته ، وسرعة تأثره ،
 حتى يقع في حب بياتريس ،
 ولو استطعنا ذلك ، لما عاد كيويبيد بعد اليوم نابلا^(١)
 بل سينقل مجده إلينا فنصبح نحن آلهة الحب وحدنا .
 هلموا بنا ندخل لأنبشكم بما عقدت النية عليه .

(يخرجون)



المكان ذاته
 Organization of the Alexandria Library
 Bibliotheca Alexandrina

يدخل دون جون وبوراشيو

دون جون : الأمر كما قلت ، وسيقترون الكونت كلوديو بابنة ليوناتو .
 بوراشيو : أجل يا مولاي ، ولكنني قادر على أن أحول دونه .

(١) أى ستولى نحن ذلك وتنتقل شهرته إلينا .

- دون جون : كال حائل . أو عائق ، أو عقبة أو مانع ،
شفاء لما أجده ، إلى مريض من الموحدة عليه ،
فكل ما يعوق حبه يرضيني ،
نبثني كيف تستطيع أن تمنع الزواج ؟
بوراشيو : لا صراحة يا مولاي وجهاراً ، بل خفية وسراً .
بحيث لا يبدو مني غدر ، ولا تظهر خيانة .
دون جون : أرني كيف ، وأجز .
بوراشيو : أحسني قد نبأتك يا مولاي منذ عام مضى ،
عن مدى حظوقي عند مرجريت ، وصيفة هيرو .
دون جون : أذكر ذلك
بوراشيو : إنني أستطيع في أية لحظة غير مناسبة ليلاً .
أن أجعلها تطل من نافذة مخدع مولاتها .
دون جون : وكيف تستطيع بهذه الفكرة أن تقضى على زواجه ؟
بوراشيو : إن فيها لسمّاً عليك أنت أن تركبته^(١) ،
فاذهب إلى الأمير أخيك ،
وأبلغه أنه قد نلّم شرفه ،
وأساء إلى كرامته بترويج كلوديو الذائع الذكر ،
— واحرص كل الحرص على أن تعظم من شأنه —
-
- (١) في الأصل — تخلط أجزاءه بنسب صحيحة كفعل الصبيل .

١٠٣

٢ - ٢

من امرأة دنسة كهيرو .

: وأى دليل على هذا أقدمه ؟

دون جون

: حسبك منه أن تضلل به الأمير .

بوراشيو

وتغيط به كاوديو ، وتقضى على هير . وتقتل ليوناتو ،

فهل ترتقب شيئاً غير ذلك ؟

: لن أتردد في أمر ما ،

دون جون

إذا كان فيه شفاء موجدى عليهم .

: اذهب إذن فالتمس لى وقتاً مناسباً ،

بوراشيو

لحرّ دون بدرو والكونت كلوديو إلى خلوة بك ،

ونبئهما بأنك تعرف أن هيرو تحبني .

وأظهر الغضب لأجلهما ،

غيره منك على شرف أخيك الذى تولى الخطبة ،

وعلى سمعة صديقه الذى يوشك أن يخدع .

في فتاة تساق إليه كأنها عذراء وما هى بعذراء .

وقل لهما إنك كشفت ذلك .

ولعلمهما سوف لا يصدقانه بنظر دليل ،

فأضرب لهما أمثلة . وأعرض عنهما بيئات .

ونيس منها ما هو أرجح

من رؤيتي تحت نافذة مخدعي .

وسماعك إرباى وأنا أنادى مرجريت « هير و » ومرجريت
تناديني « كلوديو » .

واطلب إليهما أن يتحققا من ذلك بنفسيهما
فى الليلة التى ستسبق الزفاف ،
لأننى فى الوقت ذاته سأدبر الأمر ،

حتى تغيب هير و عن المخدع فى تلك اللحظة ،
لكى تتراعى خيانتها كأنها الحقيقة التى لا ريب فيها ،
ويبدو ما تهيؤه الغيرة كأنه يقين ويفسد كل استعداد تم .

دون جون : إننى لمنفذ ذلك فعلاً مهما يكن له من سيئ العواقب ،
فأحسن بالمكر تدبيره يكن جزاءك عنه ألف دوقية^(١)

بوراشيو : وتمسك أنت بالآتهام ولا تتناقص ،
وأما أنا فلن يخذلنى مكربى .

دون جون : إننى ذاهب من فورى لأعرف موعد القران .

(يخرجان)

(١) عملة من الذهب أو الفضة تختلف قيمتها وقد أوردتها شكسبير فى عدة روايات له ولم يجعلها شائعة فقط فى إيطاليا التى ضربت أصلاً فيها بل فى الدانمرك أيضاً كما جاء فى « هاملت »
« الليلة الثانية عشرة » التى وقعت حوادثها فى النمسا . بل فى آسيا الصغرى أيضاً كما فى مسرحية
« كوميديا الأخطاء » .

المنظر الثالث

في حديقة بيت ليوناتو

يدخل بنيديك

- بنيديك : يا غلام !
الغلام : سيدي السنيور ؟
بنيديك : على نافذة غرفتي تجد كتاباً ،
هاته لي هنا في الحديقة .
الغلام : أنا هنا الآن يا سيدي .
بنيديك : أعرف ذلك ، ولكنني أريد
أن تذهب إلى هناك ثم تعود إلى هنا . (يخرج غلام)
إني لني عجب عجب ،
أن أرى رجلاً بدت له حماقة سواه ،
وبالغ سخفه ، في الاستسلام للحب ،
وطالما ضحكك ساخراً من حمق الآخرين فيه .
كيف يستسلم هو له فيقيم من نفسه الحجة على حماقته ،
والدليل على استحقاقه لسخريته ،
ذلكم هو كلوديو ، فقد عرفته

لا يطرب إلا لقرع الطبول وصوت المزمار^(١) ،
 فإذا هو اليوم يؤثر عليهما سماع القرية والطنبور ،
 وعرفته يقطع عشرة أميال سيراً على قدميه ليرى لآمة^(٢) حسنة
 فإذا هو اليوم يقضي عشر ليال
 ساهراً يفكر في زى صدار جديد
 وكان فيما مضى الصريح الموجز ، يرى إلى هدفه
 شأن الرجل الأمين ، وديدن الجندي
 فإذا هو يصبح الرجل المتعالم المتأنق^(٣) في حديثه
 الحافل القول بأغرب أصنافه ، كأن حديثه المائدة المليئة
 بأعجب ألوان الطعام وصحافه ،
 فهل أرجو أن أتحوّل هكذا وأتبدل ،
 وأشهد بعيني ما تشهده عيناه ؟ لا أدري ! ولا أظن ،
 وأحسب الحب سيحيلني قوقعة أو يردني حيواناً ،

(١) أى في الحرب وهو جندي ولكنه اليوم يفضل أن يسمع موسيقى القرب والطنابير ،
 أى الحان الحب وموسيقاه .

(٢) الآلة هي الدرع وغيرها مما يلبس في القتال ، ولكنه اليوم مولع بالتأنق وإظهار
 الرشاقة فعل أهل الصباية والهوى ، وبهذا قس ما يلى عن طبعته وحديثه .

(٣) في الأصل « أورتوجرائى » وبعض الرواة يحسبها أورتجراى أى المتشدد في أصول
 الكلمات أو المدعى العلم بمتونها وتصريفها .

ولكنى أقسم أنه لن يجعلنى أبله مأفوناً ،
 قبل أن يتم له تحويلى كذلك .
 إن فى النساء الحسنة ، وأنا الخلى ،
 والعاقلة ولكنى لست أرضاها ،
 والفاضلة ، وقلبي من حبها خلاء ،
 فلن تظفر منى بالرضى بنت حواء ،
 حتى تجمع كل هذه الصفات ،
 وتتوافر لها كل هذه الخلال .
 لتكن ذات مال ، فهذا لا نزاع فيه ،
 وأخت حكمة ، وإلا لما رضىتمها ،
 وفاضلة ، وإلا لما قبلت مساومة فيها ،
 وحسنة ، وإلا لما نظرت إليها ،
 ورقيقة ، وإلا لما دنت منى ،
 ونبيلة^(١) ، وإلا لما كنت حياها ملاكاً ،
 وحلوة الحديث صاحبة طرب بارعة ،

(١) أى صدقة أو سمكة أو أى حيوان والمعنى أن الحب لن يفعل به مثل ما فعل بكلوديو
 ٢- نبيلة هنا مؤنث « نبيل » وهو عملة تساوى ٦ شلنات و ٨ بنسات أى نحو نصف جنيه
 « وملاك » ليس اللفظ المفهوم لدينا ، ولكنه اسم عملة أخرى تساوى ١٠ شلنات والمعنى العام
 من كل هذه الأوصاف أن بنيدىك يصور المرأة المثالية التى يرضاها وأنه لن يؤدى فى سبيلها
 جنيهاً مقابل نصف جنيه ولا نقبل هذه المساومة .

شعرها كما صنعه الله . .
 ها . . ها هو ذا الأمير ، والسيد « الحب » ^(١) قادمان ،
 فلا تخبي في الحميلة .
 (يخفي)

(يدخل دون بدرو وكلوديو وليوناتو)

دون بدرو : تعال بنا ألا تستمع لهذه الموسيقى ؟
 كلوديو : بلى ، يا مولاي الكريم ، ما أسجى الليل !
 كأنما قد سكنت عن عمد ، ليزيد اللحن حسناً وانسجاماً .
 دون بدرو : أرايت أين اختبأ بنيديك
 كلوديو : ليكن يا مولاي ، أما والموسيقى قد انتهت ،
 فليأذن للثعلب الصغير بهذه التافهة ^(٢)

(يدخل بلتازار والموسيقى)

دون بدرو : هلم يا بلتازار أسمعنا هذه الأغنية مرة أخرى .
 بلتازار : أى مولاي الكريم ، لا تكلف صوتاً قبيحاً كصوتي ،
 أن يسمى إلى الطرب أكثر من مرة ^(٣) ؛
 دون بدرو : إن إنكار المرء لفضله ودعواه الجهل بأحسن ما فيه ،

(١) أى الحب - يعنى كلوديو وقد أولع شكسبير بتجسيم النعوت والمصادر كالسيدة لسان والسيدة إشاعة كما مر بك .

(٢) يقصد بالثعلب الصغير بنيديك .

(٣) الإساءة إلى الطرب - أى هذا الصوت القبيح الذى سيمى إلى سمة الفن .

لهما دائماً خير برهان على عظم شأنه ، وجلال قدره ،
فغنّ ولا تدعني أكرر السؤال ، وأردد الخطبة ^(١)

بلتازار : سأغني ما دمت قد تحدثت عن الخطبة ،

فكم من خطيب شرع في خطبة فتاة
لا يحسبها خليقة به . ولكنه يمضي في تشبيهه ،
ويقسم أنه الصب المستهام .

دون بدرو : أناشدك أن تغني ،

أو إن أبيت إلا المضي في الحاجة ،
فلتكن حبجك أنغاماً .

بلتازار : ألق باللك إلى هذا قبل أن أنطلق بأنغامي ،

إذ ليس فيهن نعمة جديدة بالملاحظة .

دون بدرو : يا عجبا ، إن كلامه هذا « دلدنة » في ذاتها ونغمات

فهو لا يكف عن ذكر الأنغام ولا يقول شيئاً .

(يبدأ بلتازار النغم)

بنيديك : يا لجلال النغم وسحر الأوتار ،

هذه روحه قد بدأت تفتن ،

أليس عجيباً أن تكون لأمعاء الضبان ،

(١) أي أخطب صوتك وأطلب إليك أن تغني ، وقد استخدم الخطبة في هذا التعبير

ليجهد الجواب التالي من المعنى .

القدرة على اجتذاب الأرواح من أعماق الأجسام (١)

* الأغنية *

بلتازار : أيتها الغيد اكففي عن التأوه والتنهيد ،
فدّيدن الرجال ، الحلداع والضلال ،
قدم لهم في البحر ، وقدم في البر ،
ولا نبات عندهم إلى آخر الدهر .
حسبك تحسّرا وتنهيداً ، واتركهم وشأنهم ،
وابتغين لهواً ومرحاً واثنتين عن أناشيد الحزن ،
إلى أغاني الأفراح ، والطرب .
حسبك ترنما بالأناشيد النكدة الثقيلة ،
كذلك كان غدر الرجال من الأزل ،
منذ خلق الصيف مورقاً وارف الظل ،
وإذن تحسرا . . . إلخ . . .

دون بدرو : يمين الحق إنها لأغنية حسنة .

بلتازار : والمغني رديء يا مولاي .

دون بدرو : كلا . كلا . . . يميناً إنك لتغني

غناء حسناً ينتقل من نغمة إلى نغمة .

بنيديك : لو كان كلباً وعوى هذا العواء ، لشنقوه ،

(١) أمعاء الضأن هي الأوتار ، لأنها تصنع منها .

أرجو الله أن لا يكون صوته القبيح نذيراً بسوء ،
ووددت لو أنى سمعت الغراب الأسحم ،
وإن جاء الطاعون في إثره يدهم .

دون بدرو : أسمع يا بلتازار ؟
أرجوك أن تأتينا بموسيقى بديعة ،
لأننا نريدها مساء غد ،

تحت شرفة مخدع الحسنة هير و ،
بلتازار : سأتى بخير ما أستطيع يا مولاي .
دون بدرو : افعل . . مع السلامة .

(يخرج بلتازار)

أقبل يا ليوناتو ، ما الذى نبأتنه اليوم .
أقلت إن ابنة أخيك يياتريس تحب السنيور بنيديك ؟
كلوديو : أى نعم . . لتتقدم بحذر . . إن الطائر جاثم مطمئن^(١) ،
ما كنت أحسب يوماً أن هذه السيدة ستحب أحداً .

ليوناتو : ولا أنا - وأعجب العجب

(١) هذا اصطلاح فى القنص - يشير به شكسير إلى حصان خشبى يختبئ خلفه .
الصائد فيتحرك الحصان به على مهل لكي يدنو من القنصة وهى لا تشعر به . وقوله إن الطائر
مستقر - وفى الأصل إن الدجاجة جالسة - يريد به أن الصائد حين يدرك أن الطائر غير فرح
ولا يزال مطمئناً فى موضعه يروح يقول لنفسه هذه العبارة . والمفهوم أن بنيديك هو فى هذه
الاستمارة الطائر المطمئن وهم الذين يحاولون صيده .

- أن يشغفها السنيور بنيديك حباً ،
وهي تبدى له في الظاهر أشد المقت .
- بنيديك : أممکن هذا ؟ أتهب الريح من هذه الناحية ؟
ليوناتو : يمين الحق يا مولای إني لفي حيرة ،
لا أدري كيف توليه هذا الحب الشديد .
إن هذا الأمر يتجاوز حدود المعقول .
- دون بدرو : لعلها تتظاهر .
كليوديو : محتمل ، جائز .
- ليوناتو : بالله ... تتظاهر ... ما أحسب في الدنيا عاطفة مزيفة
هي أدنى إلى العاطفة الصحيحة مما تبديه
- دون بدرو : وأي أعراض الحب هي كاشفة ؟
كليوديو : أصلح الطعم في الشص ، فإن هذه السمكة ستضممه .
- ليوناتو : أتسألني عن الأعراض يا مولای ؟ إنها سوف تدهشك ،
ألم تنبئك ابنتي كيف كان ذلك ؟
- كليوديو : لقد نبأتني حقاً .
- دون بدرو : كيف .. كيف .. أناشدكما ، فقد أدبهشمتاني ،
لقد كنت أظن أن عواطفها مستعصية على هجمات
الحب وطعناته .
- ليوناتو : لم أكن لأتردد يا مولای في القسم بذلك ،

وبخاصة نحو بنيديك بالذات .

بنيديك : كنت أحسبها خدعة ومكرراً ،

لولا أن المحدث بهذا هو ذلك الشيخ الأشيب ،
والمكر لا يمكن أن يجتمع مع هذا الوقار الطاهر .

كلوديو : لقد وقع الصيد في الفخ ، فلا تدعوه يفلت منه .

دون بدرو : وهل كاشفت بنيديك بحجها ؟

ليوناتو : كلا . وقد أقسمت أنها لن تفعل .

وهذه هي محنتها .

كلوديو : حقاً إنها لكذلك . فقد حدثتني ابنتك . أنها قالت لها :

« أنا التي طالما سخرت منه حين لقيته ، أكتب إليه بأني
أحبه ؟ »

ليوناتو : هذا هو ما تقوله الآن ،

حين بدأت تكتب إليه ، فهي تنهض عشرين مرة في الليل ،

فتكتب وهي في جلبابها ، حتى تملأ صفحة كاملة ،

لقد حدثتنا ابنتي عن هذا كله .

كلوديو : أما وقد ذكرت الصفحة « المليئة » ،

فلا أزال أذكر فكاهة مليحة قالتها لنا ابنتك .

ليوناتو : آه ، حين فرغت من كتابتها ، وقرأت الصفحة التي

« ملأتها »

خيل إليها أن بنيديك وبياتريس في الفراش فوق «ملاءتها»^(١)

كلوديو : هذه هي النكتة بالذات

ليوناتو : لقد مزقت الكتاب لرباً :

وسخرت من نفسها كيف لم تستح أن تكتب مثله ،
إلى رجل تعرف أنه سوف يستهزئ بها .

وانثنت تقول ، إنني أقبسه

« بما كنت أنا في مثل هذه الحال فاعلته »

فلو كتب إلى هكذا لسخرت منه ، وإن كنت أحبه .

كلوديو : ثم نخر راحة على ركبتيها ، باكية ، ناشجة .

تدق صدرها بكفها ، وتقتلع شعرها ،

وتضرع ، وتلعن ، وتنادى ،

أى بنيديك الجميل « اللهم ألهمنى الصبر » .

ليوناتو : هذا هو ما تفعله كما علمت من ابنتي ،

حتى لقد بلغ من فرط جنونها ،

وأثر النوبة العنيفة التي انتابها ،

أن بدأت ابنتي تخشى

أن تلحق بنفسها أذى بليغاً في أثناء نكبتها وهذا صحيح . .

(١) لعب شكسبير هنا بكلمة « الصفحة » لأنها تحتل معنيين أولها الصفحة التي

تكتب والآخر غطاء السرير أو الملاءة ومعنى النكتة أنها تخيلها نائمين في فراش واحد .

دون بدرو : يحسن أن يعرف بنيديك هذا الأمر بأية وسيلة أخرى ،
ما دامت تأبى أن تكاشفه به

كلوديو : وما النتيجة ، فلسوف يتخذها هُزْءاً ،
ويزيد في تعذيب المسكينة طغياناً وبغياً .

دون بدرو : لو فعل . لكان من الخير أن نشنقه شنقاً .
لأنها لفتاة حسناء حلوة . وفاضلة فوق كل شبهة .

كلوديو : وحكيمة إلى أبعد حدود الحكمة .

دون بدرو : هي كذلك إلا في شيء واحد ، وهو حب بنيديك .

ليوناتو : إن الحكمة يا مولاي والعاطفة ،

تتنازعان وتضطرمان في هذا البدن الغض ،
ولدينا الأدلة المتوافرة على أن العاطفة هي المنتصرة .
ولإني لها لمحزون ، ولى العذر ،
لأنني عمها وولى أمرها .

دون بدرو : ليتها وهبتني أنا هذا الحب الجنوني ،

إذن لا طرحت كل اعتبار وجعلتها نصف نفس .
أرجوك أن تنبيء بنيديك وتعرف ما هو قائل .

ليوناتو : هل تظن أن في ذلك نفعاً ؟

كلوديو : إن هيرو تظن أنها ستموت لا محالة ،

لأنها تقول إنها ستقضى إذا هو لم يحبها .
وستموت قبل أن تعلن حبها ،
وستفضل الموت إذا هو فاتحها
على الإقلاق من مألوف سخريتها منه .

دون بدرو : تحسن صنعاً .

لأنه من الجائز إذا هي عرضت عليه حبها أن يسخر منه ؛
لأن الرجل كما تعلمون جميعاً ذو نفس هازئة ساخرة .

كلوديو : إنه مثال الرجل المستقيم الفاضل .

بدرو : إن له في الحق مظهراً جميلاً يستهوى النفوس .

كلوديو : وإني لأشهد أمام الله أنه لرجل كريم .

دون بدرو : إنه لتبدو عليه في الواقع مخايل الحكمة ،

وتنبثق منه شرارة ذات بريق يشبه الذكاء .

كلوديو : وأنا أعدّه شجاعاً باسلاً .

ليوناتو : أؤكد لك أنه في مثل شجاعة « هكتور »^(١) وبسالته ،

أما في تدبير الاشتباكات والمشاجرات ؛

(١) أكبر الأبطال في حروب طروادة وكان زوجاً لأندروماك وفي هذه الحروب قتل
بتر وكلاس صديق أخيل ، فحقن عليه ، وتقدم من أسوار طروادة ، فهرب القوم جميعاً وثبت
هكتور بادئ الأمر ولكن الخوف استولى عليه ففر وتبعه أخيل حتى تمكن من قتله . وقد أُرْدِف
شكسبير يصف لماذا شبه بنيديك به في تحاشي المارك أو الإقدام عليها .

- فلک أن تقول إنه الحكيم ،
لأنه إما أن يتحاشاها بفطنة بالغة ،
أو يتولاها بخشية أقرب ماتكون لهاخشية المسيحيين المؤمنين .
- ليوناتو : إذا كان حقاً يخشى الله .
كان حتماً الوديع المسلم ،
أما إذا هو لم يمنح إلى السلم ،
فلا مفر له من الدخول في الشجار وجلا مرتجعاً .
- دون بدرو : هذا هو ديدنه ، لأنه يخاف الله ،
وإن لم يبد ذلك عليه للنكات والأمازيح الجحافة التي يرسلها .
إنني ليحزنني حظ ابنة أخيك .
أنذهب لنبحث عن بنيديك لكي ننبئه بحبها .
- كلوديو : ينبغي أن لا تخبره بذلك يا مولاي ،
ولندعها تتغلب عليه بحسن تفكيرها .
- ليوناتو : كلا . هذا غير جائز . فقد ينهك الصبر عليه فؤادها أولاً .
- دون بدرو : حسن ما قلت ، ولنسمع من ابتك ما هي فاعلة بعد ،
ولندع الأمر في سبيله حتى يهدأ قليلا ،
لأنني أحب بنيديك حقاً ،
وبودي لو يعود إلى نفسه فيبيلوها ،
حتى يتبين إلى أي حد ،

- هو غير خليف بسيدة طيبة مثلها .
- ليوناتو : مولاي ، ألا تمضي ، إن العشاء قد أعد .
- كلوديو : إذا هو لم يشغف بها حباً بعد هذا ،
- فلن يصدق يوماً ظني .
- دون بدرو : لنذع الشرك على هذا النحو منصوباً لها ،
- وهذا هو ما نحن تاركوه لابتك ووصيفتها تدبرانه ،
- وستكون التسلية الممتعة حين يعرف كل منهما شغف صاحبه ،
- بودى لو أرى هذا المشهد ،
- إنه سيكون تمثيلاً بالإشارات لا بالكلام .
- دعونا نوفدها لتدعوه إلى العشاء .
- (يخرج دون بدرو وكلوديو وليوناتو)
- بنديك : (يتقدم من غبته) لا يمكن أن يكون هذا خدعة .
- فقد كان الحديث جدياً .
- وقد عرفوا حقيقة الأمر من هيرو ،
- ويبدو لي أنهم على الفتاة مشفقون .
- والظاهر أن حبها بلغ نهاية المدى . . .
- إنها تحبني . . . يا لله !
- لا معلى عن تبادل الحب والاستجابة له .
- وقد سمعهم يلوموني ويتقدون مسلكي ،

ويقولون لإننى سأروح المزهو المتكبر ،
 إذا لمحت الحب من جانبيها منيعتاً ،
 ولقد قالوا أيضاً إنها لتؤثر الموت على إظهار حبها ،
 ولكنى لم أفكر يوماً فى الزواج .
 ولا ينبغي لى أن أبلو صلفاً متكبراً ،
 إن السعداء من يسمعون معانيهم فيستطيعون إصلاحها ،
 وهم قائلون إن السيدة حسناء ، وهذا صحيح ،
 وإنى لشاهد لها بالحسن غير منكر ؛
 وفاضلة ، وهذا حق لا أكذبه ؛
 وأريبة عاقلة ، إلا فى حبي ،
 ولكن يمين الحق إن حبها لى لا يزيد فى حكمها ،
 ولا يضيف شيئاً إلى فطنتها ،
 ولا هو بحجة بالغة على حماقتها ؛
 لأننى سأتناهى فى حبها ، وأمعن فى الكلف بها ،
 ولعلى مستهدف لشيء من النكت وقليل من السخرية ؛
 لأننى كثيراً ما سخرت من الزواج واسترريته ،
 ولكن ألا تتغير الشهوة إلى الطعام ، وتقبل أحياناً أو تنصرف .
 فقد يجب الرجل أكل اللحم فى شبابه .

فإذا تقدمت به السن لم يعد يطيقه .
 فهل ترى هذه النكت والأمثال ،
 والفاكاهات التي لا ضرر فيها ،
 صارفة المرء عن سبيله ، عادلة به عن رغبته وهوى نفسه .
 كلا . . يجب أن يعمر العالم بالناس ،
 وحين قلت إنني أؤثر أن « أموت » أعزب ،
 لم أكن أدري أنني « سأحيا » حتى أقترن . .
 هاهي ذى بياتريس قادمة . .
 وحق هذا النهار لأنها الحسنة ،
 وإنني لألمح بعض إشارات الحب عليها .

(تدخل بياتريس)

بياتريس : أوفدت على كره مني لأدعوك إلى العشاء .
 بنيديك : أشكرك أيتها الحسنة بياتريس على تجشمك هذا التعب .
 بياتريس : لم أتكبد في سبب شكرك لي تعباً ،
 أكثر من تكبدك أنت في شكري .
 ولو كان في مجيئي إليك تعب لما جئت .
 بنيديك : هل سرتك إذن الوفاة إلى ؟
 بياتريس : أجل ، كسرورك من تناولك مدينة ووخز غراب بسناتها ..
 الأارغبة لك في الطعام يا سنينور .. ؟ طاب يومك (تخرج)

بنيدك : ها . . . ! « لقد أوفدت إليك على كره لأدعوك إلى الطعام » ،

إن هذا القول منها يحمل معنيين .
ثم قولها لم أتكبد في سبب شكرك لي
تعباً أكثر مما تتكبد به أنت لشكري ،
يعنى أن أى تعب أتكبد به في سبيلك لسهل هين كالشكر...
وإذا أنا لم أشفق عليها ، كنت وغداً دنيئاً ،
وإذا أنا لم أحبها كنت يهودياً . .
فلأذهب لأظفر بصورتها .

(يخرج)

الفصل الثالث

المنظر الأول

في حديقة ليوناتو

تدخل هبرو ومرجريت وأورسولا

هبرو : أصرعى يا مرجريت إلى الردهة ،
تجلى ابنة عمى بياتريس ،
تتحدث مع الأمير وكلوديو ، فاهسى في أذنها
أننى أنا وأورسولا نتمشى الساعة في الحديقة ،
وإن حديثنا كله يدور حولها ،
وقولى إنك استرقت السمع علينا ،
واطلبى إليها أن تتسلل إلى الدغلة الظليلة المشدبة ،
حيث أنضجت الشمس أعواد العلندا ،
فنعتها من النفاذ فيها ، كمثل أهل الخطوة عند الأمراء ،
يتكبرون على السلطان الذى اصطنعهم ،
ويزهون على الصولة التى أنشأتهم ؛
ونبئها أنه يحسن بها أن تختبئ عن كذب ،

لتنصت إلى حديثنا ، وتسمع علينا .
هذه هي مهمتك ، فأحسنى تأديتها ودعينا وخذنا .
مرجريت : أؤكد أنى سأتى بها فى الحال . (تخرج)
هيرو : والآن يا أوسولا اسمعى :
لنجعل حديثنا إذا جاءت بياتريس ،
ونحن نقطع هذا الدرب ذهاباً وحيثه ،
منصرفاً بجملته إلى الكلام على بنيديك .
فإذا ما ذكرت اسمه ،
فليكن قولك مديحاً فيه ، وثناء عليه ،
أطيب مما ظفر امرؤ يوماً بمثله ،
وسأحدثك أنا عن مدى صبايته بياتريس ، وفرط جواه ،
فكذلك نصطنع سهام كيوييد الصغير ونباله المصمية ،
تجرح بالسماع وتدى بالرواية^(١) .
(تلخل بياتريس من خلفهما)
والآن فلنبداً الكلام فها هي ذى بياتريس قادمة
تتسلل كالزقراق^(٢) ،

(١) أى أن الحب كثيراً ما يأتى بالسماع . كقول بشار : والأذن تعشق قبل العين أحياناً .
(٢) من عادة هذا الطائر أن يصرخ كلما طار ليعيد الصائد عن صفاه ، وهو يتوئب
وهنا تعليل جميل لطيرانه قريباً من الأرض كاستعارة لتسلل بياتريس .

يتوثب قريباً من الأرض ،
لكى تنصت إلى حديثنا .

ورسولا : إن أكثر ما فى الصيد من متعة ،

أن يشهد الصائد السمكة ،

تمرق بزعانفها الذهبية تحت أمواه الجلول الفضى ،

وتقبل منهومة على الطعم الغدّار لتأكله ،

وما مثلنا حيال بياتريس إلا كمثل هذا الصائد المترقب ،

وهى الآن متزوية بين أعواد العلندا مخبئة ،

فلا تخشى من ناحية دورى فى الحوار الذى سيجرى بيننا .

هيرر : لنقترب إذن منها ، حتى لا يفوت أذننا شىء

من هذا الطعم الخادع الحلوى الذى ندسه لها ،

(تقتربان من الدغلة)

كلا ، والله يا أورشولا ،

لإنها لمفرطة فى الترفع والكبرياء ،

وأعرف عنها شدة الحياء .

ولإنها لنافرة كالصقور البرية والرخم .

أورشولا : ولكن أواثقة أنت أن بنيديك يحب بياتريس من كل قلبه ؟

هيرر : هكذا يقول الأمير وقرينى الجديده .

أورشولا : وهما ، طلنا إليك يا مولاتى أن تنسها .

هيو

: لقد ناشداني أن أكاشفها به ،
ولكني رجوتهما إن كانا يجبان بنيديك حقاً ،
أن ينصحا له بمغالبة حبه ،
فلا يدع بياتريس تعرف عنه شيئاً .

أورسولا

: ولماذا فعلت ذلك . أليس هذا الرجل الكريم

خليقاً ببياتريس زوجاً وشريك فراش ؟

هيو

: يا إله الحب ، إنني لأعرف أنه خليق

بكل ما يجدر برجل أن يوهبه ،

ولكن الله لم يخلق قلباً أشد زهواً من قلب بياتريس .

إن الترفع والسخرية يتلألآن في عينيها ،

فتستصغران شأن كل ما تقعان عليه .

وهي تبالغ في تقدير قوة ذكائها

حتى ليبدو كل ما عداه ضعيفاً .

إنها لا يمكن أن تحب ،

ولا تطبيق التفكير في الحب أو تصوّره ،

إنها محبة لذاتها ، مفرطة في أثرها .

أورسولا

: حقاً إنني لأراها كذلك .

ولهذا يحسن بلا شك

ألا تعرف شيئاً عن حبه لثلاث تعبت به .

هيرو

: الحق ما قلت ، فما رأيت في حياتي رجلا ،
 حكما نبيلًا فتيةً ، نادر الوسامة ، حلو القسمات ،
 إلا أساءت وصفه ، وعكست عليه مزاياه ،
 فإن كان أبيض الوجه ،
 أقسمت أنه كان خليقاً به أن يكون أختها .
 وإن كان أسمر قالت إن الطبيعة أرادت ،
 أن ترسم صورة مهرج مهذار .
 فسكبت قطرة من المداد فكان تلك القطرة .
 وإن كان طويلاً فهو الروح الرديء الرأس .
 وإن كان قصيراً فهو عندها فص من عقيق ،
 لم يُتقن قَطْعُه ولم يُهذَّب تركيبه .
 وإن كان متحدثاً ، فهو في نظرها دواة تلور مع الرياح .
 وإن كان صموتاً ، فصخرة لا يحركها شيء ،
 وكذلك هي ،
 تُقَلِّب كل رجل إلى ضده ، وتحيله إلى نقيضه ،
 ولا تعطى الحق والفضل يوماً
 نصيبهما من البساطة والاستحقاق .
 : حقاً . حقاً . إن هذا البحث عن المثالب ليس مستحباً .
 : إن كل شنوذ وخروج عن المألوف ،

أورسولا

هيرو

كدأب بياتريس ، هيهات أن يُستَحَبَّ ،
ولكن منذ الذي يجسر أن يقول هذا لها ؟
فلو تكلمتُ ، لسخرت مني وهزأت ،
بل لأضحكتني من نفسي ،
وأثقلت كاهلي بعبء فكاهتها حتى أَلْفَظُ الأنفاس (١) ،
فليبق بنيديك كالنار المغطاة ،
وليحترق زفرات ، ولتذهب نفسه حسرات .
فإن الموت على هذا النحو خير
من الموت من وخزات الاستهزاء .
وما أشبهه بالموت من الغمز والتخميش .
أورسولا : ومع ذلك فلتحدثي في هذا إليها ، ولتسمعي ما تقول .
هيرو : كلا . إنني لأوثر أن أذهب إلى بنيديك ،
وأنصح له أن يغالب صباوته ، ويصارع جواه .
وفي الحق إنني سأخلق أكاذيب لا بأس منها
لألصقها بابنة عمي ؛

(١) إشارة إلى عقوبة قديمة في القانون كان يحكم بها على الذين يرفضون الدفاع عن أنفسهم حيال التهم التي توجه إليهم . وهي وضع أثقال كبيرة على معدة السجين وصدره وهو منبطح على ظهره . وكلما رفض الكلام زادوا الأثقال عدداً حتى يعترف أو يموت من تأثير الضغط سحناً وقد ألغيت هذه العقوبة في عام ١٧٧٢ .

فمن يدري كم من كلمة سواى سممت حباً ،
وأفسدت عاطفة .

أورسولا : لا تسيئى إلى ابنة عمك هكذا .
فما أحسبها متجردة من صحة الحكم والتقدير إلى هذا الحد ،
وهى الفطنة الحاضرة البديهة الذكية ،
والرضى بسيد مهذب نادر المثال كالسنيور بنيديك ،
أحجى وأولى من رفضه .

هيرو : إنه الرجل الأوحى في إيطاليا ،
إذا استثنينا عزيزى كلوديو بطبيعة الحال .
أورسولا : أناشدك يا مولاتى أن لا تغضبى منى
إذا صارتك برأى . إن السنيور بنيديك
لأعظم الناس شهرة ،
بحسن الصورة والسمت ورجحان العقل والشجاعة ،
فى طول إيطاليا وعرضها .

هيرو : حقاً . إن له شهرة عظيمة واسعة .
أورسولا : لقد أكسبته شأئله هذه الشهرة قبل أن يراها
ومتى يتم قرانك يا مولاتى ؟
هيرو : كل يوم ، ما دام رسيتم غدا^(١) . هلمى ندخل .

(١) أى ما دمت سأقترن غداً ، فسا كون زوجاً كل يوم بعد شد حين يأتى الغد .

لأريك بعض الثياب .

وأستنصحك أيها أحسن لتوافيني به غداً .

أورسولا : لقد وقعت في دبق الفخ .

أؤكد لك يا مولاتي أننا قد أوقعناها في الشرك .

هيرو : إذا صح ما تقولين ،

صح أيضاً أن الحب قد يأتي مصادفة واتفاقاً ،

وأن بعض الناس يصرعهم كيوييد بالسهم ،

وبعضهم يوقعهم في الفخاخ .

(تدخل هيرو وأورسولا)

بياتريس : (تتقدم) ما هذه النار التي تحرق أذني . . .

أحق هذا الذي سمعته^(١) ،

أكذا أرى بالإفراط في الكبرياء ، والسخرية إلى هذا الحد ،

فالיום وداعاً أيتها السخرية ،

وعفاء عليك يا حياء « العذارى » ،

فلا حياة للمجد وراء ظهرك ،

ويا بنيديك امض في حبك فأني لمنصفتك ،

ومروضة قلبي النافر على لمس راحتك الخائبة ،

(١) مثل قديم كان العامة يتمثلون به ، وهو قولهم لإبك إذا أحسست بحكة في أذنك فمعناه أن هناك إنساناً يتحدث عنك والعوام عندنا يظنون الفراق كذلك .

فإن كنت تحب فإن حنانى سيدفعك
إلى ربط حياتنا برباط مقدس ،
لأن الناس يقولون إنه بالحـب جـديـر ،
وأنا أعرف به من القائلين .

المنظر الثانى

شرفة فى دار ليوناتو

يلنل دون بدرو وكلوديو وبنيدىك وليوناتو

دون بدرو : لن أقيم هنا إلا ريثما يتم زواجك ثم أذهب إلى أرجون .
كلوديو : سأرافقك إليها يا مولاي ، إذا سمحت .
دون بدرو : كلا . لو فعلت لكان ذلك أشبه شىء ،
بلطخة فى صفحة زواجك الناصعة الجديدة ،
كمن يرى الطفل رداءه الجديد ثم يمنعه من ارتدائه ،
ولن أجرؤ إلا على اصطحاب بنيدىك لأنه من قمة رأسه
إلى أخمص قدميه ملئ مرحاً ، مفعم فكاهة ،
وقد قطع مرتين أو ثلاث مرات لكيوبيد وتر قوسه .

فلم يجرؤ هذا الجلاد الصغير^(١) على إطلاق السهام عليه
وإن له لقلباً سليماً كالناقوس رنيناً ،
ولسانه هو مدقه^(٢) كلما خطر للقلب خاطر ،
كان لسانه عنه المعبر .

بنيديك : سادتي البواسل ، لم أعد المرح الذي كنته .
ليوناتو : هذا ما قلته ، يلوح لي أنك مكتئب .
كلوديو : لعله عاشق .
دون بدرو : لا تعلق هذا الوهم به ، ولا يشرد بك الفكر فيه ،
فليس فيه نقطة صادقة من الدم يمكن أن يمسخها الحب حقاً .
فإن كان مكتئباً فهو في حاجة إلى المال .

بنيديك : بل هو وجع ضررس ،
دون بدرو : اقلعه .
بنيديك : ألا سحقاً له .
كلوديو : أربطه بالخيط ثم اجذبه .
دون بدرو : لك الله ! أتزفر من وجع ضررس ؟
ليوناتو : حيث لا يوجد إلا بعض الصديد أو السوس ،
بنيديك : في وسع كل إنسان أن يتغلب على الألم إلا من يعانيه .

(١) كذلك كان يوصف كيوييد إله العشق .

(٢) المدق هو مقبض الناقوس .

٢ - ف

١٣٢

كلوديو : ولا زلت أقول إنه عاشق .

دون بدرو : لا أثر فيه لهوى ،

إلا أن يكون نزوعاً إلى غريب تنكر ،
كان يبدوا اليوم هولنديّاً ، وغداً فرنسيّاً ،
أو في زى رجلين من أمتين في آن واحد ،
كألماني مثلاً ، من الخاصرة فما دون سراويل فضفاضة ،
وكأسباني ، من العجز فما فوق ، بغير صدار ،
فإذا لم يكن له هذا الهوى الذي ينازعه إلى هذه الحماسة ،
— ويبدو أن له هذا الهوى —
فليس هو من الخلق بحيث يتزع إلى الخيال ،
كما تريد أن تظنه كذلك .

كلوديو : إذا لم يكن قد وقع في حب امرأة ،

فلا خير إذن في تصديق الإمارات .

لقد راح ينفض بالفرشاة قبعته كل صباح ،
فإذا ترى ذلك منبئاً به ؟^١

دون بدرو : هل بصّر به أحد الخلاق ؟

كلوديو : كلا . ولكن صبي الخلاق رؤى عنده .

وأسمى ما كان حلية للحد ،

- حشوا للكرات التى يتقاذفها اللاعبون^(١) .
- ليوناتو : حقاً . إنه ليلوح اليوم أصغر سنّاً ،
منه فيما مضى بعد زوال لحيته .
- دون بدرو : إنه ليتضمّخ بالمسك . . . ألم تعرفوه بطيبة قبل أن يقترب ؟
- كلوديو : ومعنى هذا بعبارة أخرى أن هذا الفتى الطريف البديع عاشق .
- دون بدرو : إن الكتابة أكبر سمات هذا الحب .
- كلوديو : ومتى رأيتموه قد اعتاد غسل وجهه ؟
- دون بدرو : أى نعم ، بل متى كان يترسّس ويتجمل ؟
- وهذا ما أسمع الناس يقولون عنه .
- كلوديو : ولكن روحه الماجنة قد تسالت الآن
- إلى أوتار عود تنحّكم فيه المفاتيح^(٢) .
- دون بدرو : الواقع أن فى هذا دليلاً قوياً ، نستنتج منه أنه يحب .
- كلوديو : نعم . وأنا أعرف من التى تحبه .
- دون بدرو : وأنا أيضاً أريد أن أعرفها . وأؤكد لك أنها فتاة تجهله .
- كلوديو : أجل ولا تدرى عن سوء حاله شيئاً . وإن كانت مع ذلك
- تموت من فرط حبها لإياه .

(١) أى أصبح يخلق لحيته وهى حلقة الخلد ، وأصبح الشعر المخلوق تحشى به الكرات .

(٢) استعارة من الموسيقى يشير فيها الشاعر إلى المفاتيح المقامة فى مقبض العود يعمد إليها الموسيقار فيحكم نسبطها حين يشاء لإصلاح الاوتار وضبط الأنغام . أى أصبح قليل التمكن

ولم يكن هذا شأنه من قبل .

- دون بدرو : ستدفن وجهها إلى أعلى^(١) .
- بنيديك : وبعد فليس هذا « بَرْقِيَّة » من وجع الأسنان . .
أيها الشيخ ، هلا انتحينا ناحية ؟
فقد أعددت ثمانى كلمات أو تسعاً أريد أن أقولها لك ،
حتى لا يسمعها هذان السخيفان .
(يخرج بنيديك وليوناتو)
- دون بدرو : إنى لشديد الرغبة فى أن أنقل إليه حب بياتريس له .
- كلوديو : إن الأمر لكذلك ، وقد أدت هير و مرجريت^(٢) دورهما
معها ،
ولهذا لن يعرض الدُّبان بعضهما بعضاً حين يلتقيان^(٣)
(يدخل دون جون)
- دون جون : سلمت يا مولاي وأخى .
- دون بدرو : نَسِيتُ مساء يا أخى .
- دون جون : أريد أن أتحدث إليك إذا سمح بذلك وقتك .
- دون بدرو : حديثاً خاصاً . . . ؟
- دون جون : إذا تفصلت ، ولا بأس من أن يسمع الكونت كلوديو لأن
-
- (١) هذه العبارة ليست واضحة لأن الموق جميعاً يدفنون هكذا . ولكن شكسبير افترض
أثنا لا نعرف . وقال المفسرون إنه قد يقصد « وكماها إلى أعلى » .
- (٢) المقصود « أورشولا » لا مرجريت كما مر .
- (٣) أى لن يهاجم أحدهما صاحبه عند التقائهما . والعرب يقول يتطحن فى الأمر عزازن .

الكلام الذى سأقوله يعنيه .

- دون بدرو : ما خطبك ؟
- دون جون : (مخاطباً كلوديو) هل تتنوى يا مولاي القران غداً ؟
- دون بدرو : وأنت تعرف أنه ينتويه .
- دون جون : لا أعرف ذلك ، حين يعرف ما أنا عارف .
- كلوديو : إن كان ثمة حائل ، ناشدتك أن تكشف عنه .
- دون جون : لقد تحسب أنني لا أحبك ، فلندع هذا إلى ما بعد ،
- وحاول أن تحسن الظن بما أنا الساعة كاشفه ،
- أما أخى فهو يوثرك ، وقد ساعد عطفاً منه ،
- ولاعزازاً فى تحقيق قرانك الذى حان مواعده واقترب ،
- وما من شك فى أنه قد أخطأ فى هذه الوساطة ،
- وبئس الجهد المبدول فيها .
- دون بدرو : ماذا تقول ، وما الخطب . . ؟
- دون جون : لقد جئت لكى أنيثك باختصار ،
- لأن الحديث طويل ، أن هذه الفتاة غير وفية .
- كلوديو : من . . . هير و . . . ؟
- دون جون : نعم . هى . هير و ابنة ليوناتو ،
- هير و صاحبتك ، وصاحبة كل رجل .
- كلوديو : أغير وفية هى ؟

دون جون : إن هذا اللفظ لأجمل من أن يصور مبلغ شرها ،

بل أستطيع أن أقول إنها أدهى من ذلك وأمر .

فهل عندك وصف أسوأ لكى أنعتها به ؟

ولكن لا تعجب حتى يأتيك الدليل ،

وما عليك إلا أن تصاحبني الليلة فترى

رجلا يدخل خدرها من النافذة .

في هذه الليلة التي تسبق يوم زفافها ،

فإن كنت مع ذلك تحبها فابن غداً بها

ولكن من الخير لحفاظك وشرفك أن تعدل عنها .

كلوديو : أيمكن أن يكون هذا صحيحاً . ؟

دون بدرو : لا أظن .

دون جون : إن لم تستطع أن تصدق ما تراه بعينيك فلا تقر بما تعرف ،

وسأريك ما فيه الكفاية إن اتبعتني ،

وبعد أن تبصر وتسمع أكثر مما أبصرت وسمعت ،

تصرف على ضوءه وافعل وفق مقتضاه .

كلوديو : إذا أنا رأيت شيئاً الليلة ، فلست بمقترب بها غداً ،

وفي الاجتماع الذي سيعقد ، سأخزيها وأكشف عن عارها .

دون بدرو : وسأشاركك في كشف شنارها ،

ما دمت أنا الذي سيعت في الظفر لك بها .

- دون جون : لن أنتقصها أكثر من هذا ، حتى تكونا شاهدين ،
فاصبر إلى منتصف الليل ، ودع الأمور تجري في أعنتها .
دون بدرو : يا له من يوم انقلب نحساً .
كلوديو : يا لها من مصيبة تخنق الأنفاس .
دون جون : ستقول حين ترى البقية
يا له من شر مستطير عرفنا كيف نحول دونه قبل مداهمته .
(يخرجون)

المنظر الثالث

طريق هام

يدخل دوجيرى ^(١) ، وفارجس ^(٢) ، مع جمع من الحراس

- دوجيرى : هل أنتم إخوان خير وصدق ؟
فارجس : أجل ، وإلا كان مما يؤسف له أن حقت عليهم النقمة ،
والعذاب بدنأً وروحاً ^(٣)

-
- (١) هذا الاسم مركب من كلمتين « دوج » أى كلب و « برى » أى توت وهو لباب كالعليق ينمو فوق السياج وأسوار الحدائق واللور .
(٢) هذا الاسم تحريف لكلمة « فرجوس » أو فارجز اسم بحيل ومراب قديم وقد اختار الشاعر هذين الاسمين المضحكين ليتناسبا مع الحوار التالى .
(٣) يريد النقمة .

- دوجبرى : نعم وهذا عقاب قليل عليهم ،
 إذا كانت لديهم ذرة من الوفاء ،
 وقد وقع الاختيار عليهم للسهر والرقابة طوعاً للأمر .
 فارجس : عين لهم يا جازنا دوجبرى العمل المطلوب منهم .
 دوجبرى : أولاً من الذى تظنه أبعد من أن يكون جديراً
 برتبة ضابط صف^(١) .
 الحارس ١ : هيو أوتكيك^(٢) يا سيدى أو جورج سيكول لأنهما يقرآن
 ويكتبان .
 دوجبرى : أقبل يا جازنا سيكول ، لقد أنعم الله عليك باسم حسن ،
 ان حسن المظهر حبة القدر ،
 ولكن معرفة القراءة والكتابة تؤتيها الطبيعة .
 الحارس ٢ : وكلاهما يا معلم . . .
 دوجبرى : (مقاطعاً) لهنما لك ،
 لقد كنت أعرف أن هذا سيكون جوابك ،
 أما عن حسن مظهرك يا سيد فاحمد الله ولا تفخر به ،
 وأما علمك بالقراءة والكتابة فلا تظهره
 إلا عندما لا تكون ،

(١) كونستابل .

(٢) أوتكيك مركب مزجى من « أ و ت » و « كيك » والأولى هو الدخن وكيك أى
 الفطير أما سيكول فهو أيضاً مركب من سى أى البحر وكول أى الفهم وأكبر الظن أنهما من
 الباعة أو التجار لأنهما يعرفان القراءة والكتابة .

ثمة حاجة إلى هذه المفخرة (١) ،
إن الرأي المجمع عليه هنا أنك أقل الناس
عقلا وجدارة (٢) لرياسة الحرس .
فلتمسك أنت إذن بالمصباح (٣) فهذه هي مهمتك لتركب
السافلة (٤) ،

وتأمر كل عابر بالوقوف باسم الأمير .

الحارس ٢ : وإذا لم يقف ؟

دوجبرى : لا تأبه به ودعه ينطلق ،

وناد في الحال بقية الحرس ،

واحمد الله على أنك قد تخلصت من وغد أثم .

فارجس : إذا لم يقف حين يؤمر فهو ليس من رعايا الأمير .

دوجبرى : هذا صحيح ، ولا دخل للحراس بأحد غير رعاياه ،

وينبغي كذلك ألا تحدثوا في الطرق ضجيجا ،

لأن ثرثرة الحرس وحديثهم أكثر

مما يحتمله الإنسان ولا يطيقه (٥) .

(١) يريد حين يكون ثمة حاجة إلى هذه المقدرة .

(٢) يريد أنك أكثر الناس عقلا وأجدرهم برئاسة الحرس .

(٣) الذى يمسك به الحارس .

(٤) يريد لترقب السافلة .

(٥) يريد ما لا يحتمله .

ف - ٣

١٤٠

حارس : إنا لنؤثر النوم على الكلام ، ونحن أعرف الناس بما ينبغي للحراس وما لا ينبغي .

دوجبري : مرحي . إنك لتقول قالة شيخ مجرب خبير هو أكثر الناس هدوءاً ، فأنا لست أدري كيف يكون النوم ذنباً ، وإنما عليك أن تحترس حتى لا يسرق منك سلاحك^(١) .
والمطلوب منك أن تطوف بكل الحانات وتأمر السكاري بالذهاب إلى الفراش .

حارس : وإذا هم أبوا .
دوجبري : دعهم وشأنهم حتى يفيقوا ، وإذا لم تجد منهم عندئذ جواباً أفضل مما أجابوا به أول مرة ، فلك أن تقول إنهم ليسوا كما كنت تحسبهم من قبل .

حارس : حسن يا سيدى .
دوجبري : وإذا لقيت لصاً أدركت بحكم وظيفتك أنه ليس امرأ شريفاً ،
لوكلما أقلت من التدخل في شئون هذا الصنف من الناس ، كان ذلك أسلم لشرفك .

حارس : وإذا عرفنا أنه لص أفلا نلقى القبض عليه ؟

(١) في الأصل « البلطة » وهو السلاح الذي كان يحماه الشرطة في تلك الأيام .

- دوجبرى : لك أن تفعل بحكم وظيفتك .
ولكنى أحسب أن من يلمس القار يلوث يديه ،
وأسلم سبيل لك إذا وقعت على سارق ،
أن تدعه يثبت لك من أى صنف من الناس هو
فيسترق الخطي ويفارقك .
- فارجس : لطلما قيل عنك أيها الزميل إنك رجل رفيق رحيم .
دوجبرى : فى الحق لست أرضى أن أشق كلباً بإرادتى ،
وأنا أكثر^(١) من ذلك رغبة فى أن أفعل ذلك
برجل أوثق ذرة من الشرف .
- فارجس : إذا سمعت وليداً يصرخ فى الليل فادع المربية
واطلب إليها أن تسكته .
- حارس : وما العمل إذا كانت المربية نائمة فلا تسمعنا ؟
دوجبرى : إذن فأنصرف بسلام ودع الوليد يوقظها بصراخه ،
لأن النعجة التى لا تسمع الحمل حين يرغبو ،
لن تستجيب للعجل حين يخور .
- فارجس : هذا صحيح لا فرية فيه .
دوجبرى : هذه هى كل المهمة ،
وأنت يا ضابط الصف ،

(١) يريد أقل من ذلك رغبة .

فلتعلم أنك تماثل (١) في شخصك الأمير -
فإن لقيته ليلاً فلك أن توقفه .

فارجس : يا الله ، هذا ما لا قبل لي به .

دوجبرى : لأننى أراهن أى إنسان يعرف القوانين

بخمسة شلنات لقاء شلن واحد ،

إن له أن يوقفه ، إذا رضى الأمير الوقوف طواعية ،

لأنه ليس للحارس فى الواقع أن يسىء إلى أحد ،

ومن المساءة أن يوقف المرء أحداً رغم إرادته .

فارجس : قسماً . إن هذا هو رأى الذى أراه .

دوجبرى : ها . ها . ها . والآن يا سادة طاب ليلكم ،

وإن طراً عليكم أمر ذو بال فادعونى ،

وأمركم شورى بينكم ، وعمتم مساء ، هلم بنا أيها الجار !

حارس : والآن أيها السادة لقد سمعنا الأوامر

فهلموا بنا نقصد دكة الكنيسة إلى الساعة الثانية ،

ثم نذهب جميعاً إلى الفراش .

دوجبرى : كلمة أخرى أيها الجيران الأختيار .

أرجو إليكم أن ترقبوا باب دار السنيور ليوناتو ٥

فإن العرس سيقام فيه غداً وستكثر فيه الحركة الليلة .

(١) يريد تمثل .

إلى اللقاء . وافتحوا أعينكم أناشدكم الله .

(يخرج دوجيرى وفارجس ويدخل بوراشيو وكونراد)

بوراشيو : كونراد ! ألا تسمع ؟
 حارس : (في ناحية) سكوتنا . . . ولا تتحركوا !
 بوراشيو : كونراد ، إننى أناديك .
 كونراد : هأنذا يا رجل ، عند مرفقك .
 بوراشيو : وعشاء الرب ^(١) لقد أحسست فيه حكة ^(٢) فظننت أنها
 سيعقبها جرب .

كونراد : سوف أحاسبك على هذا القول . . . والآن على بقصتك . .
 بوراشيو : اقرب ، ولنقف تحت هذه السقيفة لنحتمي من الرذاذ؛
 وسأحدثك بكل ما عندى فيعمل السكارى إذا حلت الحمر
 عقدة ألسنتهم ^(٣) .

حارس : (في ناحية) جناية أيها السادة تدانوا .
 بوراشيو : ألا فاعلم أننى ظفرت من دون جون بألف دوقية .
 كونراد : أيمكن أن يكون ثمة إثم يبتاع بهذا الثمن كله ؟

(١) قسم عند العامة ، والعشاء هنا هو العشاء الرباني عند المسيحيين .
 (٢) من أمثال العامة ، أحس حكة في كوعى يقال للتطير كما نطق نحن أن العين التي
 مختلج قد تبد أو تنذر .
 (٣) كما يفعل المثل إذ يبوخ بكل ما في نفسه . والإشارة هنا إلى اسم بوراشيو - فهو
 مشتق من كلمة « بوراشا » في الأسبانية ومعناها الزق « و بوراشيو » معناها السكران .

- بوراشيو : أولى بك أن تسأل هل يمكن
أن يكون الإثم غنياً إلى هذا الحد ؟
لأنه حين يحتاج الأشرار الأغنياء إلى عون الأشرار الفقراء .
يحق لهؤلاء أن يعينوا الثمن الذي يطلبون .
- كونراد : إنني لنى عجب من هذا .
- بوراشيو : إن هذا العجب منك ليدل على أنك لا تزال قليل التجربة ،
ولا أحسبك تجهل أن زى صدار أوقبة أو قباء أمر
لا يهم المرء ولا يعنيه .
- كونراد : نعم . . . إنه ملبس فحسب .
- بوراشيو : إننى أعنى الزى .
- كونراد : أى نعم . الزى هو الزى .
- بوراشيو : هراء ! إن هذا القول هو بمثابة قولك إن الأحمق هو
الأحمق .
- ولكن ألا ترى إلى أى حد يبلو الزى لصاً مشوهاً^(١)
- حارس : (فى ناحية) أعرف المشوه هذا ،
لقد كان لصاً لثياً خلال السنوات السبع الماضية ،
وإن كان يروح ويغلمو كأنه السيد المهذب
إننى أتذكر اسمه .

(١) أى قبيحاً ولم يعرف الحارس هذه الكلمة فظنه اسم علم لأحد السراق .

- بوراشيو : ألم تسمع صوت أحد ؟
- كونراد : كلا . إنه صوت الدوّارة القائمة فوق سطح البيت .
- بوراشيو : قلت لك ألا ترى إلى أى حد يبلو الزى لصاً مشوهاً ؟
- وكيف يستلب ألباب الشباب ، ويذهل إخوان الدم الحار .
الذين تتراوح أسنانهم بين الرابعة عشرة والخامسة والثلاثين ،
حتى ليجعلهم تارة يتراءون في ثياب جنود فرعون
في رسومهم القائمة^(١) . وتارة أخرى في أردية كهنة
بعل^(٢) .
- كما يبدون في الرسوم التي تزدان بها نوافذ المعابد ،
وحيثما في زى هرقل الخليق كما هو مصور على أدُم الأسفار
القدرة التي أكلها العث .
- في سراويل فضفاضة تشبه في حجمها عصاه^(٣) .
- كونراد : كل ذلك أراه . وأرى أيضاً كيف يبلى الزى من الشباب
أكبر مما يبليه الإنسان^(٤) ،

(١) هي صورة وجدت على أستار من قماش تصور حياة سيدنا يوسف أو موسى عليه السلام . ومأخوذة من التوراة ويبدو فيها الجنود المصريون . وقد رأينا شكسبير يصف تلك الرسوم بأنها مدخنة أو علاها الصنّاج فأثّرنا أن نعبر عنها بقولنا « القائمة » .

(٢) بعل البابليين وكان له كهنة .

(٣) إشارة إلى الصورة التي يبلو فيها هرقل خليقاً حين كان في خدمة أومغال يؤدي أعمال النساء . وهذه الصور مرسومة على أستار تناوينا البلى وأكلها العث .

(٤) أى أن الأزياء سرعان ما تتغير وكثيراً ما تلتنى ثياباً قبل أوان البلى .

ولكن ألت أنت نفلك قد أذلك الزى
كذلك وأطارلبك ، حتى خرجت من القصة
التى ستنبئى بها إلى حديث الزى ؟

بوراشيو : ليس الأمر كذلك . ولكن اعلم أننى الليلة قد أغريت
مرجريت وصيفة هير و ،

وناشدتها باسم مولاتنا أن تطل على " من شرفة مخدع سيدتها ،
وتقرئنى ألف تحية وسلام . ولكنى لم أحسن بداية الخبر .
وكان أولى بى أن أقص عليك أولاً "

كيف شهد الأمير وكلوديو ومولاي من مكان قصي " فى الحديقة
هذا اللقاء المحبب بإيعاز دون جون وتأثيره
وحملهما على الترصد فى ذلك الموضع .

كونراد : وهل ظنوا أن مرجريت هى هير و ؟

بوراشيو : اثنان منهما حسبها كذلك . وهما الأمير وكلوديو .

ولكن مولاي الشيطان كان يعلم أنها مرجريت .
وهو الذى تمكن بأيمانه المغلظة من أن يستأثر بلبهما .
وأعانه الليل البهيم كذلك على التغرير بهما .
ولكن الفضل الأكبر يرجع إلى لوى ومكرى .
لأنهما أكدا كل وشاية اصطنعها دون جون ،

حتى لقد انطلق كلوديو محنقاً مغيضاً ،
وأقسم أنه حين يلتقي بها غداً اليوم التالي
في الموعد المضروب . ويقف بجانبها في الكنيسة
سيكشف أمام الجمع الحاشد عارها .
ويعلن ما شهدته في العشية بعينيه :
ويردها إلى بيت أبيها غير ذات بعل .

- الحارس ١ : باسم الأمير آمرك أن تقف .
الحارس ٢ : ناد الرئيس . فقد كشفنا هنا أخطر خيانة عرفت في الدولة
الحارس ١ : ومن بينهم واحد يدعى المشوّه وأنا أعرفه .
إنه يرسل على جبينه طرة حب (١)
كويزاد : يا سادة . . . يا سادة .
الحارس ٢ : وسنحملك على إحضار المشوه معك أوكد لك هذا .
كويزاد : يا سادة .
الحارس ١ : لا تتكلم . إننا نأمرك أن تتركنا نستأقك معنا .
بوراشيو : أكبر ظني أننا سنكون صيداً ثميناً
ما دام هؤلاء قد قبضوا علينا :

(١) آثرنا كلمة « طرة » للشعر على أية لفظة أخرى لأن عادة الظرفاء والمتأنقين في عهد
شكسبير أن يتركوا خصلة من الشعر تدلى على جباههم أو فيجا إلى آذانهم ، ولكن الحارس
الجاهل ومثله دوجرى ظنناها « قفلا » وفي ذلك يقول - كما سيأتى بعد - يضع مفتاحاً في أذنه
و يعلق به قفلا .

ف - ٣

١٤٨

كونراد : صيداً مريباً . هلموا . . . إننا ممتثلان لكما .
(يخرجون)

المنظر الرابع

في مخدع هير

تدخل هير ومرجريت وأورسولا

هير : أيقظي يا أورسولا ابنة عمي يياتريس واطلبي إليها الهوض .
أورسولا : طاعة يا مولاتي .
هير : والحضور إلى هنا .
أورسولا : سمعاً .
(تخرج)

مرجريت : يميناً . إن المرط^(١) الآخر أحسن .
هير : كلا . . . أرجوك . سأرتدى هذا يا مرجريت .
مرجريت : يمين الحق إنه لا يعدله جمالا ، وأؤكد لك أن هذا هو
ما ستقوله ابنة عمك .

(١) المرط في العربية كساء من خبز بؤنزر به وتنفل المرأة به وهو هنا شبيه بالثوب المقصود .

- هيو : ابنة عمى بلهاء . وأنت مثلها . لن ألبس سواه .
- مرجريت : يروقنى هذا المتزر إلى أبعد حد ،
لو كان الشعر أسمر قليلاً .
وأما الثوب ففى الحق آية .
- لقد رأيت ثوب دوقة ميلانو الذى أفاضوا فى مديحه .
- هيو : آه . . . لقد قالوا إنه يفوق الوصف .
- مرجريت : يميناً إنه لا يعدو جلباباً للنوم إذا قيس بثوبك .
نعم لقد نسج من الذهب نَسْجاً .
وجعل مقدمه من الفضة . ورُصّع باللاز .
واه كُصّمان طويلان من الكتف إلى المعصم .
وأخريان فضفاضتان إلى المرفق .
وربطة مبهرجة بشفاف يضرب إلى الزرقة .
ولكن ثوبك من حيث رقة الطراز ، وجمال الزى وإبداعه ،
أفضل منه عشرة أمثال .
- هيو : أدعو الله أن يمتعنى بارتدائه لأنى أحس ثقلاً شديداً يَحْمُ
على صدرى .
- مرجريت : لن يلبث أن يصبح « أثقل » تحت بدن رجل . . .
- هيو : تَباً لك . . . ألا تستحين ؟ ؟
- مرجريت : مم يا مولاتى ، وأنا أقول قولاً شريفاً ،

أليس الزواج شرفاً حتى للمتسول ؟
 أو ليس سيدك أخا شرف بغير زواج ؟
 أحسبك تريدني أن أقول
 « مع احترامى العظيم لك ، زوجاً »
 لماذا لم يفسد سوء التفكير صدق القول ،
 فلماذا لا أسيء إلى أحد .
 وهل من بأس في قولي « سيصبح أثقل تحت بدن الزوج » ،
 لا أعتقد أن هناك بأساً ،
 ما دام المعنى المقصود بين المرء وزوجه ،
 وإلا كان خفيفاً لا ثقيلاً .
 فإذا لم تصدق فسل مولاتي بياتريس فما هي ذى قادمة .

(تدخل بياتريس)

هيو : عمي صباحاً يا ابنة العم .
 بياتريس : عيمنت صباحاً يا هيو والحسنة .
 هيو : ما بالك تتكلمين بنغمة مريضة ؟
 بياتريس : أظن أنى لا أعرف ما عداها من النغمات .
 مرجريت : لنغن بسرعة أغنية « نور الحب »
 فهذه لا تتطلب صوتاً خفيضاً .
 ما دمنا وحدنا لا رجال معنا ، فغنها أنت ، وأرقص أنا .

- بياتريس : أغنية « نور الحب » بكعبيلك الخفيفتين ،
إذا كان زوجك يملك، رابط خيل كافية ،
فسوف ترين عندئذ أنه لن يفتقر إلى الأجران
ولا يعوزه الولدان (١) !
- مرجريت : قول ذنغل ، ومنطق فاسد ، أركله ساخرة بكعبي .
بياتريس : كادت الساعة تؤذن الخامسة يا ابنة العم . وحن أن
تستعدي ،
- يمين الحق لإنني جد مريضة . يا لله . . . ألا من . . .
مرجريت : أتريدين صقراً ، أو صافناً ، أو صاحباً (٢) ؟
بياتريس : الحرف الذى تبدأ به جميعاً وهو الصاد صداع .
مرجريت : إذا لم تكوفى قد غيرت رأيك
فلن يجدى الملاحين الاستهداء بالكواكب (٣) .

(١) هنا تورية قاسية من طراز شكسبير . فهو يريد أن يقول إذا كان زوجك يملك
م رابط خيل كثيرة ، أى القوى المقتدر ، فلن تموزه الولدان - أى ستلدين له كثيراً منه ومعز
غيره والجناس هنا فى كلمة الأجران فهى فى اللغة barns أى مخازن للعلف وهى أيضاً dairn
أى ذرية وولدان .

(٢) جاء شكسبير بثلاث كلمات تبدأ كلها بالهاء وقد راعينا هذا فلم نجد بدا من إيراد
ثلاث تبدأ كلها بحرف الصاد : واحتفظنا بالمعنى ، فجعلناها صقراً وصافناً أى جواداً وصاحباً
أى زوجاً . وردت بياتريس بكلمة مماثلة وهى بالهاء أيضاً .

(٣) فى الأصل إذا لم تنقلبى تركية ، أى عنيدة كما يوصف الأتراك ، فلا نفع فى حبك
لبنيديك من تركه للظروف .

- يياتريس : لست أدري ماذا تريد هذه المغفلة .
- مرجريت : لا شيء ولكن الله يحقق لكل امرئ أمنيته .
- هيرو : لقد بعث الكونت إلى هذا القفاز . إن له أرجاً ذكياً .
- يياتريس : إننى « ممتلئة » برداً يا ابنة العم ، فلا أشم شيئاً .
- مرجريت : بكر و « ممتلئة » ! نعم البرد الذى أخذته .
- يياتريس : سبحان الله . ومتى احترفت قول النكتة ؟
- مرجريت : منذ تركته أنت . ألا تليق فكاهتى بى إلى حد يثير الإعجاب ؟
- يياتريس : غير ظاهرة بالقدر الكافى لخير لك أن تضعيها فى طرطورك^(١) . يمين الحق إننى لموعوكة .
- مرجريت : خذى قليلاً من الكارديواس بنيدكتس^(٢) المقطر واشربيه . إنه الدواء الوحيد الذى يفيد هذه النزلات المفاجئة .
- هيرو : إنك تعزينها بعلاج شائك^(٣) .
- يياتريس : بنيدكتس ! ولم بنيدكتس بالذات ؟
- إن لك فى وصفه معنى خفياً .
- مرجريت : معنى خفياً ! كلا ويمين الحق ، لست أقصد أى معنى خفى .

(١) كعادة المهرجين .

(٢) على سبيل النكتة فقد استعملت اسم دواء للزكام يتركب من كلمتين كارديواس نسبة إلى « كارد » وهو القلب . وبنيدكتس ، وهى تشبه اسم بنيدىك .

(٣) تعزينها أى تشكيلها لأن الدواء الذى اقترحته عليها من النباتات ذات الأشواك أى هذه « غمزة » منها .

إنما أعني نبات المزارع المقدس^(١) ليس إلا .
ولعلك تظنين أنني أظنك تحبين .
كلا ، ويمين العذراء ، لست مغفلة إلى حد
أننى أظن حقاً ما أسمع .
أو أسمع لما فى إمكانى أن أظنه .
ولا يمكننى أن أظن وإن شئت ،
أن أستنفد كل خاطرى فيما أظن -
إنك تحبين أو ستحبين أو يمكن أن تحبى .
ولكن أمر بنيديك مختلف فقد أصبح رجلاً
وكان من قبل يقسم أنه لن يتزوج أبداً .
فأضحى الآن على كره من قلبه ،
يأكل طعامه غير مغمغم ولا متبرم ،
ولست أدري متى تتغيرين أنت وتبدلين ،
ولكنى أظنك تنظرين بعينيك كما يفعل غيرك من النساء .
بياتريس : أية سرعة هذه التى ينطلق بها لسانك ؟
مريريت : ليست خجلاً كاذباً .
(تعود أوسولا)

(١) هو النبات ذاته يوصف بأنه المقدس لأنه يستخدم فى الأعراس .

أورسولا : مولاتى . ادخلى . فقد جاء الأمير والكوفت والسنور
بنيديك ودون جون
وجميع سادات المدينة وجهاتها ليصحبوك إلى الكنيسة .
هيرو : أعشنى على ارتداء ثيابى يا ابنة العم العزيزة ،
ويا مرجريت المحبوبة ويا أورسولا الكريمة .
(يخرجون)

المنظر الخامس

حجرة أخرى في دار ليوناتو
يدخل ليوناتو ، ومعه دوجبرى وفارجس

ليوناتو : ماذا تريد منى أيها الجار العزيز ؟
دوجبرى : وحق العذراء يا سيدى . أريد أن أسر
إليك أمراً يحضك عن قرب (١) .
ليوناتو : قل وأوجز ناشدتك الله . فإننى كما ترى فى شغل شاغل .
دوجبرى : حقاً إنه لكذلك يا سيدى .

(١) جاء شكسبير على لسان هذا الجاهل بكلمات محرفة وأخرى مكوسة أو بعيدة عن
المعنى التى تحملها إبرازاً لمحاولته إظهار شيء من العلم والمعرفة ، فهو يريد بقوله يحضك عن قرب
« ينفضك » عن قرب ، أى وثيق الصلة بك .

- فارجس : نعم إنه لكذلك حقيقة يا سيدى .
- ليوناتو : وما هو يا صاحبيّ الكريمين ؟
- دوجبرى : إن السيد فارجس « يشط » قليلا فى كلامه .
- إنه شيخ كبير يا سيدى .
- وليس كليل^(١) الذكاء ، كما أرجو له بعون الله .
- ولكنه والله صادق صريح كالجلدة التى بين حاجبيه^(٢)
- فارجس : أى نعم ، أحمد الله على أننى صادق ،
- لا أقل صدقا عن أى إنسان حى ،
- إذا كان شيخا كبيرا ، ولم يكن أصدق منى .
- دوجبرى : المفاضلات عطرة^(٣) فأوجز القول ياسد فارجس .
- ليوناتو : أيها الجاران . إنكما لثقيلان مملان .
- دوجبرى : قد يسرك هذا القول يا مولاي ،
- غير أننا رجلان مسكينان فى شرطة الدوق ،
- ولكن فى الحق أنى لو كنت مملا كالملك^(٤) ،
- لهان علىّ أن أنعم بهذا الممل كله على سيادتك .
- ليوناتو : بكل ملالتك علىّ أنا ؟ أهذا ما تقول ؟

(١) يريد حاد الذكاء .

(٢) الظاهر أن الجنة حين تثبت إدانتهم كانوا يُدْمَنون على الجلدة الى بين حواجبهم .

(٣) كلمة أخرى حرفها دوجبرى فى حرصه على التحذلق .

(٤) نسب الإملال والساجة إلى الملوك ثم أنعم بهما على ليوناتو .

دوجبرى : أى نعم . ولو كانت أكثر من قيمتها بألف جنيهه^(١)

فقد سمعت عن سيادتك من الاستصرار^(٢) المستطاب
بقدر ما سمعته عن أى رجل فى المدينة .

وإنى وإن لم أكن سوى رجل فقير لفرح بما سمعته .

فارجس : وأنا كذلك .

ليوناتو : أتمنى أن أعرف ماذا تريدان أن تقولاه .

فارجس : يميناً يا سيدى أن حرامنا قبضوا الليلة^(٣) على اثنين

من أشد المجرمين فى مسينا .

خلا سيادتك^(٤)

دوجبرى : إنه لشيخ كبير يا سيدى فلا تأخذه بما يقول . وفى المثل

حين يُقبل العمر ، يدبر العقل^(٥)

كان الله فى عوننا . ويا عجباً للعالم وما فيها حقاً ،

لقد أحسنت القول والله يا سيد فارجس ، الدنيا بخير^(٦) .

(١) يظهر أن ألف جنيه قد علقت فى ذهنه من التحقيق فهو يريدها هنا .

(٢) يريد من الشاء . (٣) يقصد طبعاً الليلة الماضية .

(٤) يقصد « من غير مؤاخفة » كما يقول العامة هنا . ولكنه ظن أن هذه العبارة هى المناسبة . وإن كان معناها أن ليوناتو هو أكبر المجرمين فى البلد .

(٥) أصل المثل « الخمر » فحرفها من اللام إلى الجيم فجاءت « العمر » والأصل مثل يضرب فى إظهار أثر الخمر فى الذهاب بعقل السكران .

(٦) فى الأصل على لسان هذا الجاهل « إنك رجل طيب » والمعنى الصحيح هو « الدنيا بخير كما خلقها الله » .

- وحين يركب اثنان حصاناً ،
يتحتم أن يكون أحدهما رديفاً (١) ،
إنه والحق يقال رجل صادق يا سيدى ،
كأى امرئ أكل خبزاً ،
ولكن سبحان الله إن الناس ليسوا سواسية
للأسف أيها الجار الكريم .
ليوناتو : حقاً أيها الجار إنه ليقصر عنك كثيراً .
دوجبرى : إن الله هو واهب النعم .
ليوناتو : لا بد لى من ترككما .
دوجبرى : كلمة أخيرة يا سيدى . إن حراسنا يا سيدى قد أدركو (٢)
رجلين تحوم حولهما التشبيهاً (٣) .
وسنأتى بهما فى هذا الصباح للتحقيق أمام سيادتك .
ليوناتو : توليا أنما التحقيق وارفعا إلى .
لأننى فى عجلة شديدة الساعة كما تريان .
دوجبرى : حسبنا هذا (٤) .

-
- (١) أنى أحذنا يتكلم والآخر يسكت .
(٢) يريد أمسكوا .
(٣) يريد الشبهات .
(٤) يريد حسبنا هذا .

ف - ٣

١٥٨

ليوناتو : تناولا شيئاً من النبيذ قبل أن تنصرفا . أستودعكما الله .
(يدخل رسول)

الرسول : مولاي . إن القوم ينتظرونك لزفاف كريمتك إلى زوجها .
ليوناتو : سأوافيهم . إنني مستعد .
(يخرج ليوناتو والرسول)

دوجبرى : اذهب أيها الزميل الكريم إلى فرانسيس سيكول
واطلب إليه أن يحضر قلماً ودواة إلى السجن
وستولى الآن التحقيق مع هذين الرجلين .
فارجس : علينا أن نسير فيه بحكمة .

دوجبرى : أؤكد لك أننا لن ندخر فيه نكتة^(١)
وسندلهما ونقطع عليهما كل سبيل
وكل ما عليك أن تحضر الكاتب القدير
ليدون تقريراً عليك أن توافيني^(٢) إلى السجن .
(يخرجان)

(١) يريد حكمة .

(٢) نطق بها خطأ حتى جعلها تبدو بمعنى « الطرد » من الكنيسة أو الحرمان من المغفرة
يكان يقصد البيان المكتوب أو التقرير .

الفصل الرابع

المنظر الأول

في كنيسة

يدخل دون بدرو - دون جون - ليوناتو - القس فرانسيس
كلوديو - بنيديك - هيرو - بياتريس - والحاشية

- ليوناتو : أقبل أيها القس فرانسيس وأوجز ،
فلا تتجاوز الصيغة المألوفة في عقد القران .
واترك شرح واجبات الزوجين إلى ما بعد .
القس : هل جئت هنا يا مولاي للتزوج هذه السيدة .
كلوديو : كلا
ليوناتو : ليقترن بها أيها القس . وقد جئت أنت لتزويجهما .
القس : هل جئت أيتها السيدة لتقترنى لهذا الكونت .
هيرو : نعم .
القس : إذا كان أحدهما يعرف عائقاً خفياً يحول دون قرانكما
فإني أناشده بحق نفسه عليه أن يفضى به .
كلوديو : هل تعرفين شيئاً كهذا يا هيرو ؟
هيرو : كلا . يا مولاي .
القس : وهل تعرف أنت يا كونت ؟

- ليوناتو : أجتري فأرد عنه نافياً .
- كلوديو : كم من امرئ يجتري على أن يفعل ،
وكم من رجل يجوز له أن يفعل ،
وكم من أناس في كل يوم يفعلون .
وهم لا يعلمون أنهم يفعلون .
- بنيديك : ما هذه الألفاظ كلها ؟
- إن بعضها أشبه بعلامات الضحك .
- كقولك آه - ها . . هي !
- كلوديو : تنح قليلاً أيها القس . ودعني أسألك يا أبي (١) .
- هل أنت واهبي هذه العذراء ابتك بنفس طائفة مختارة ؟
- ليوناتو : كما وهبها الله بمشيئته ورضاه .
- كلوديو : وماذا تسألني لقاءها ،
- حتى يتكافأ وهذه الهبة النفيسة الغالية ؟
- دون بدرو : لا شيء إلا أن تردّها إليه .
- كلوديو : أيها الأمير العزيز ، إنك تعلمني نبل العرفان بالجميل .
- أى ليوناتو . خذها .
- ولا تعط صديقاً لك هذه البرتقالة العفنة .
- فليس عليها من شرف العذراء غير مظاهره .

(١) هو الرجل الذي كان مفروضاً أن يصبح « حتميه » .

انظر إليها كيف يتورد محياها خجلا .
يا الله ! ما أقدر الخطيئة النكراء ،
على إخفاء ذاتها بميسم الصديق .
أليس هذا الحياء على الطهر والنقاء دليلا متواضعا ؟
وأنتم يا من تنظرون إليها
ألا تقسمون إنها لعذراء ،
حين ترون هذه المظاهر الخارجية ؟
ولكنها ليست كذلك .
لقد عرفت حرارة الفراش ودق المضعع ،
وليس توردد وجهها حياء ، بل استنكافاً من جرمها واستخذاء .

ليونانو : ماذا تعني بهذا يا مولاي ؟

كلوديو : أعني أنني لن أتزوج .

ولن أربط روحى بامرأة آثمة ثبت الجرم عليها .

ليونانو : إذا كنت يا مولاي العزيز بما لك من قوة الحجة

قد استطعت أن تتغلب على مقاومة شبابها

وهزمت عذرتها . . . فإن . . .

كلوديو : أعرف ماذا كنت قائلاً لو أنني عرفت من قبل وخبرتها .

ستقول إنها اعتنقتني بوصفى زوجها .

وفى هذا ما يخفف من إثم التعجل .

ليس الأمر كذلك يال يوناتو ،
فما أغريتها يوماً بكلمة عوراء .
بل رحت كأخ لأخته أبدى لها
الإخلاص الحى والحب النقى .
هيرو : وهل كنت يوماً غير ذلك نحوك ؟
كلوديوس : سحراً لك . أيها الرياء . لأكتب عنك ^(١) ولأندد دن بك .
إنك لتظهرين شبيهة بديانا فى فلكتها ^(٢)
وفى مثل نقاء الزهرة فى كمها ،
قبل أن تهب عليها الأنفاس .
بل إنك لأحرّ دماً من فينوس ^(٣) .
وأطغى بهيمة من تلك الحيوانات المرفهة ،
التي تحتدم الشهوة فيها احتداماً .
هيرو : هل مولاي سليم وهو يتكلم على هذا النحو
البعيد من الصدق ؟

(١) هكذا فى الأصل ، ومعناها سأفضحك أو أندد بك .
(٢) إشارة إلى « ديانا » ربة العفاف وهى هنا تمثل القمر فى دورانه حول الأرض وهى
فى أساطير الإغريق ابنة الإله زفس وشقيقة أبوللو وهى عذراء يعبدونها العذارى ويحرصن على
عذرتهم حتى يتزوجن .
(٢) ابنة جوبيتر ، وقدرسيها الرسامون فى صورة من الحسن الباهر وهى أم كيوييد إله
الحب ومن لوازمها الإيمامة والخطاف والريحانة والوردة والتفاحة .

- ليوناتو : أيها الأمير الكريم . لماذا لا تتكلم ؟
- دون بدرو : ماذا أقول ؟
- لأنني أقف الآن مثلوم الكرامة ، وأنا الذي سعت في ربط صديقي العزيز بامرأة لا شأن لها ولا قدر
- ليوناتو : أأسمع حقاً . أم أنا في حلم .
- دون جون : إنك تسمع ، وأن ما تسمعه لحق
- بنيديك : ليس هذا من مظاهر العرس
- هيرو : حقاً . . . رباه !
- كلوديو : أي ليوناتو . أتراني في هذا المكان واقفاً ؟
- وهل هذا هو الأمير وهل هذا أخوه ؟
- وهل هذا وجه هيرو . وهل هذه حقاً أعيننا ؟
- ليوناتو : كل هذا صحيح . ولكن ماذا تعني يا مولاي ؟
- كلوديو : دعني أوجه سؤالاً واحداً إلى ابنتك ، وأمرها بحق سلطانك الأبدي الرفيق عليها أن تجيب عنه صدقاً .
- ليوناتو : أمرك وأنت ابنتي أن تفعل
- هيرو : رب . خذ بيدى . فقد أحيط بي .
- بأي اسم تدعو هذا الاستجواب ؟
- كلوديو : أريد أن أحملك على جواب صادق يكشف عن اسمك .

- هيرو : أليس اسمي هير و ؟
 فنذا الذى يستطيع أن يدنسه بمعاب صحيح .
 كلوديو : ذلك ما تستطيعه هير و نفسها .
 فهى التى تستطيع أن تمحو شرفها .
 خبرينى من ذلك الذى كان يتحدث إليك ليلة أمس ؟
 تحت نافذتك بين الثانية عشرة والواحدة ؟
 إن كنت حقاً عذراء فأجيبى .
 هير و : لم أتحدث إلى أحد فى تلك الساعة يا مولاي .
 دون بدرو : أنت إذن لست عذراء .
 يا ليوناتو يحزننى أن أنبتك مقسماً بشرفى
 وشرف أخى وشرف هذا الكونت الكليم المحزون
 إننا رأيناها وسمعناها فى تلك الساعة من الليلة البارحة
 تكلم وغداً مجرمات من نافذة مخدعها .
 وقد اعترف فعلاً شأن السافل المستهتر ،
 باللقاءات الأنيمة التى جرت سرّاً بينهما مئات المرات .
 دون جوين : العار . العار !
 إن هذه اللقاءات لا تحصى يا مولاي ولا توصف ،
 فليس فى اللغة من العبارات العفة ،
 ما يكفى المرء من غير سوء أن يفوه بها .

إنني لأسف أيّتها السيدة الحسنة ،

لهذا المسلك الأثيم الذي سلكته ،

كلوديو : أى هير و ، لقد كنت تروحين :سماً على مسمى (١)

لو أن نصف هذا الجمال الظاهر الذى أوتيته ،

أحيط بدوافع قلبك وخوالج فؤادك !

ولكن سعدت حالاً يا من جمعت

بين أشد الدنس ، وأبهى الحسن .

وداعاً أيها الدنس النقي ، وداعاً أيها النقاء الدنس (٢)

فى وجهك سأغلق جميع أبواب الحب .

وعلى أجفاني سأعلق الريبة ،

حتى أرى كل جمال أذى وضراً ، فلن أفتن به يوماً

ليوناتو : ألا من خنجر هنا أغيبه فى هذا الصدر ؟

(يغمى على هير و)

بياتريس : ما هذا يا ابنة العم ، ولماذا تخرين مغشياً عليك ؟

دون جون : هلموا بنا إن الأمر قد وضح ،

فخنت أنفاسها خنقاً .

(يخرج دون بدرو ودون جون وكلوديو)

(١) هير و معناها « البطل » ومؤنثها البطللة أى كان منظر أن تكونى اسماً على مسمى .

(٢) من باب القلب كقولهم « كلام المنوك ملوك الكلام » .

- بنيديك : ماذا بها . . . ؟
- بياتريس : أحسبها قد ماتت - الغوث يا عماء . . .
- هيرو ، هيرو . . . ! عماء . . . سنيور بنيديك
- أيها القس . . .
- ليوناتو : أيها القدر ، لا تنزع يدك الثقيلة الداهية عنها .
- إن الموت خير ساتر لعارها ، وأحسن غطاء نتمناه لها .
- بياتريس : . . . هيرو ابنة العم ، ما الذى دهاك ؟ أفيق .
- القس : رَوِّحِي عنك يا سيدة ولا تراعى .
- ليوناتو : أنفيقين ؟
- القس : أجل ، ولم لا ؟ ؟
- ليوناتو : لم لا ؟ ؟ ألا ترى أن كل شيء فى الأرض ينادى بعارها ؟
- أستطيع أن تنكر القصة التى طبعها العار على وجهها ؟
- لا تحجى يا هيرو ولا تفتحى عينيك .
- ولو كنت أظن أن الموت غير معاجلك ،
- وكان فى حسابى أن روحك أقوى من عارك ،
- لانتزعت بنفسى الحياة منك انتزاعاً ،
- عقب ما وجهه إليك من تأنيب .
- وا حزنى . ووا فجيعتى . وليس لى إلا ابنة واحدة ،
- فأعيب على الطبيعة بخلها !

أواه . إن واحدة من طرازك لكثير ؟
لما رزقت واحدة ؟
ولماذا كنت على الدهر جميلة في عيني ؟
ولماذا لم يقدر لي رحمة وإحساناً ،
أن أكون السائل المتكفف عند بابي ؟
أنا الذي تلوث على هذا النحو عرضه !
وتلطمخ بالعار اسمه !
لقد كان في إمكاني أن أقول .
إنها ليست في شيء مني .
وإن إثمها جاء من صلب مجهول :
ولكنها ابنتي التي أحببت وأعزرت :
ابنتي التي أشدت بها ونوّهت .
وفاخرت بها الناس وباهيت .
إنها مني بل أكثر .
حتى لقد ذهبت في الغلو بقدرها ،
أحسب نفسي ليست لنفسى .
وإنني لا أملك لذاتي بعدها شيئاً .
فإذا هي ، أواه ، إذا هي تتردى في هوة من مداد ،
إذا أريد منه تطهيرها
لنغد البحر قبل أن تطهر منه .

ولما كفى ملح البحر لتطهير لحمها الملوث .

: سيدى . سيدى . صبراً .

بنيديك

بعض هذا الحق . إننى ، ن فرط العجب

لا أدرى ماذا أقول .

: أواه . . . ونفسى التى بين جنبي

بياتريس

أن ابنة عمى ضحية إفك واقتراء .

: هل كنت ليلة أمس يا سيدتى نائمة معها فى فراش واحد ؟

بنيديك

: كلا . . . فى الحق .

بياتريس

وإن كنت طيلة هذا العام أرقد معها

إلا الليلة الماضية فلم أفعل .

: لقد حصحص الحق . . . إن هذا ليزيد الحجة قوة ،

ليوناتو

وإن كانت من قبل قاء سيجت بقضبان من حديد ،

أفيكذب الأميران ، ويفترى عليها كلوديو ،

الذى أحبها الحب كله ،

وراح فى الحديث عن رجسها يغسله بالدموع .

ألا بعداً لها . . . دعوا الموت يخرتمها .

: استمع لى هوناً ما .

القس

فقد اعتصمت بالصمت كل هذه اللحظة .

وتركت المقادير تجرى فى أعنتها .

لقد لاحظت وأنا أقرب حركاتها وسكناتها ،
أطيفاً من حياء تتوارد على وجهها ،
وأخرى بريئات في مثل بياض وجوه الملائكة ،
تغالب ذلك الحجل وتلاشيه ،
ثم بدت في عينها شعلة نار
تحرق الإفك الذى أقامه هذان الأميران
على صدق عذرتها .
فلتدعنى مغفلاً ولا تثق بما قرأته .
ولا تركز إلى ملاحظاتي
التي طبعها التجارب بخاتمها مؤكدة
صدق قراءتي . ومضمون حكمي .
لا تثق بكبر سني ومركزي . وقدسية معرفتي .
إذا لم تكن هذه السيدة الحسنة بريئة من الإثم ،
ولكنها ضحية خطأ أليم .

ليوناتو : لا يمكن أن يكون الأمر كذلك أيها القس .
ألا ترى أن الكفارة الوحيدة التي بقيت لها
أنها لا تضيف إلى إثمها إثمًا آخر ،
وهو القسم زوراً . أنها لم تنكر .
فلماذا تريد أنت أن تستر بالأعذار

ما بدا فى صورته الحقّة ؟

القس : سيدنى . أى رجل هذا الذى تُتهمين به ؟

هيرو : يعرفه الذين اتهمونى . أما أنا فلا أعرف أحداً .

ولو عرفت عن أحد من الأحياء

أكثر مما يبيحه حياء العذارى ،

فلتناً الرحمة عن كل خطاياى .

أبت إن ثبت لك أنى تحدثت مع رجل

فى ساعة لا يسوغ فيها الحديث ،

أو أنى تبادلّت ليلة أمس الكلام مع مخلوق .

فأبرأ منى وامقتنى ، وعذبنى حتى أموت .

القس : أحسب الأمراء قد وقعوا فى خطأ عجيب .

بنيديك : إن منهم اثنين هما مثال النزاهة والشرف ،

فإن أخطأهما الصواب فى هذا الأمر وضلّا سبيل الحكمة ،

كان هذا الكيد من تدبير جون النغل

الذى دأبت نفسه على الشر .

ليونانو : لست أدرى ، ولكن إذا كان الحق ما قالوا عنها

فسأقطعنها بيدي لربّاً ،

أما إذا كانوا فيما تناولوا به شرفها ظالمين ؛

فوالله لأحاسبن أشدهم اعتداداً بنفسه وأكثرها كبرياء ،

- إن الزمن لم يخفف بعد الدم الذي يجري في عروقي .
وتقدم السن لم يستنفد مني حيلتي .
ولا الأقدار أتلفت مواردى .
ولا العيش المرسل على عواهنه أفقدنى أصحابى .
لسوف يرون قوة البدن . وأصالة العقل ،
حين يستيقظان فى رجل مثلى .
ولسوف يشهدون مقدرة الموارد، وخيرة الصحب والمناصرين .
كيف تثار لى أشد الثأر من المتجنين والظالمين .
- القس : مهلاً ، ودع نصيحتى تهْدِكْ فى هذا الأمر سواء السبيل
لقد انصرف الأمراء وهم يحسبون ابتك
قد ذهب فى الهالكين ،
فاحتجزها سرّاً عن الناس إلى حين ،
وأعلن على الملأ أنها قد ماتت حقّاً
واصطنع عليها حداداً .
- وأقم على مقبرة عشيرتك رثاء لها يروح على مماتها شهيداً،
واحتفل بالدفن احتفال الأحياء بالموتى :
مراسم وطقوساً عداداً . . .
- ليوناتو : وما أثر ذلك وما جدواه ؟
- القس : يميناً إن هذا سيحيل الوشاية، إلى ندامة ،

إذا أتقنت الحيلة .
وفي هذا التحول بعض الخير ،
ولكن ليس هذا السبيل الغريب هو الذى أرى إليه ،
بل الذى أرجوه من وراء هذا الجهد الشاق
أكبر من ذلك شأنًا ، وأبعد منه مدى .
إن موتها فى اللحظة التى اتهمت فيها ، إذا أحكمتم إعلانه ،
سيحمل السامعين على التفجع عليها ، والثناء لها ،
واسماحة المعاذير عنها .
فقد جُبل الناس على أن ما نملكه لا نعرف قيمته ،
ما دما ننعيم بمتعته .
فإذا انتزع منا وفقدناه ، عرفنا له يومئذ قدره ،
وبدا لنا فضله وخطره .
وكنا من قبل وهو فى أيدينا بقيمته جاهلين .
وسيكون هذا حال كلوديو ،
حين يسمع بأنها ماتت من أثر أقواله ،
فلا تلبث صورتها قبل الممات أن تتسلل برفق إلى خياله ،
وإذ تبدوله كل معالم جمالها فى الحياة
فى صورة أجمل وأغلى مظهرًا ،
وتتمثل لعين نفسه وخاطره ،

أقن وأرق أثراً مما كانت وهى فى عالم الحياة ،
وعندئذ سيحزن عليها إن كان للحب مكان فى جوانحه ،
ويتمنى لو أنه لم يتهمها بمثل ما اتهمها به .
وإن اعتقد أن الاتهام كان حقاً ، فافعل كما أشرت ،
ولا تشك فى أن ما سوف يحدث بعدئذ ،
سيشكل النتيجة خيراً مما أستطيع أن أصورها أنا .
أما إذا أخطأنا التوفيق فى كل ما عدا هذا ،
فإن تصور ميتها ، سيروى ظمأ العجب من سوء فعلتها .
فإذا لم تأت النتيجة كما نتمنى ،
فلك أن تخفيها فى معزل أو متبتل^(١) تضمده فيه جرح سمعتها ،
بعيداً عن الأعين والألسنة والأذهان ومساءة المسيئين .

بنيديك : خذ يا سنيور ليوناتو بنصيحة القس ،
وإنك لتعلم خبيثة نفسى وحجى للأمر وكلوديو .
ولكنى أقسم بشرفى أننى معالج هذا الأمر
سراً وعدلاً كما تعامل روحك جسديك .
ليوناتو : لقد هدنى الأسى هذا ، حتى ليقودنى الطفل الصغير .
القس : اتفقنا - فلنصرف فى الحال ،
ومن يطلب لغرائب القروح شفاء ؛

فليلتمس لها جهد الطاقة الدواء .
وأنت يا سيدتي هلمي ، اطلبي الموت توهبي الحياة ،
ومن يدري ، فلعل هذا العرس مرجأ إلى حين ،
فاصبرا وتجلدا^(١)

(يخرج الجميع إلا بنيديك وبياتريس)

- بنيديك : أى بياتريس - هل كنت تبكين كل هذه الفترة ؟
بياتريس : أجل وسيطول بكائي
بنيديك : لا أريد ذلك .
بياتريس : ليس لك حق . إننى أفعل ذلك باختيارى .
بنيديك : أعتقد، يقيناً أن ابنة عمك الحسنة مظلومة .
بياتريس : كم يستحق عندى الرجل الذى يستطيع أن ينصفها .
بنيديك : هل من سبيل إلى إظهار هذه الصداقة ؟
بياتريس : السبيل جلية واضحة ، ولكن أين الصديق ؟
بنيديك : هل يستطيع رجل أن يتولاه ؟
بياتريس : إنه عمل رجال ، ولكنه ليس عمالك .
بنيديك : لست أحب فى هذا العالم شيئاً قدر حبي لك ،
بياتريس : أليس هذا غريباً ؟

(١) هذا القس يشبه زميله فى رواية « روميو وجولييت » فقد أعطى هذا جولييت دواء يحدث غيبوبة إلى حين ريثما يعود إلى القبر فيوقظها منه ولكنه جاء بعد مصرع حبيبها . وفى هذه الرواية شيء كثير يكاد يشبه ما فى الرواية الأخرى التى كتبها شكسبير قبل هذه بقليل .

- بياتريس : غرابة الشيء الذى لا أعرفه^(١) . لقد كان فى مقدورى أن أقول إننى لا أحب شيئاً قدر حبي لك — ولكن لا تصدقنى وإن كنت لا أكذب ، ولست أعترف بشيء ، ولا أنكر شيئاً إننى فى أسف على ابنة عمى .
- بنيدىك : أقسم بسينى يا بياتريس إنك تحبيننى .
- بياتريس : لا تقسم به ، بل ابلعه .
- بنيدىك : أقسم به إنك تحبيننى ،
- وأدفعه فى حلق من يقول إننى لا أحبك .
- بياتريس : أو لن تبتلع كلامك ؟
- بنيدىك : لم يصطنع بعد المرق الذى يطبخ به ، إننى أقر أنى أحبك
- بياتريس : إذن ليغفر لى الله !
- بنيدىك : أى ذنب جنيته أيتها الحسنة بياتريس ليغفره ؟
- بياتريس : لقد أخرتني لحظات هنية ، فقد كدت أقر أنى أحبك
- بنيدىك : أقرى به من كل قلبك .
- بياتريس : أحبك حباً ملك على كل قلبى .
- فلم يترك منه شيئاً ليقره .
- بنيدىك : مرينى أفعّل شيئاً من أجلك .
- بياتريس : أقتل كلوديو .

(١) تنفى حبها له .

- بنيدك : ها ! هذا محال . ولو أعطيت العالم كله .
- بياتريس : إنك برفض سؤالى تقتلنى . . . وداعاً !
- بنيدك : مهلاً . . . بياتريس الحلوة
- بياتريس : لقد ذهبت ، وإن كنت هنا .
- ليس فى فؤادك حب لى . . . أناشدك دعنى أذهب .
- بنيدك : بياتريس !
- بياتريس : يمينا لأذهبن عنك .
- بنيدك : لنكن صديقين أولاً .
- بياتريس : أيسر لك أن تكون لى صديقاً
- من أن تقاتل من أجل عدو لى ؟
- بنيدك : وهل كلوديو عدوك ؟
- بياتريس : ألم يثبت أنه أوغد الأوغاد ؟
- أن قذف ابنة عمى وازدراها
- وولغ فى عرضها ،
- ليتنى كنت رجلاً !
- يا للنكر ! أكذاك يأخذ بيدها إلى
- الموضع الذى سيطلب فيه يدها ؟ !
- وعندئذ يوجه علانية التهمة إليها .
- يا للفضيحة السافرة ! ويا للحقد الشديد . . .
- رباه . لو أنى كنت رجلاً .

لأكلت قلبه على الملاء أكلاً .

بنيديك : استمعى إلى يا بياتريس .

بياتريس : تتحدث إلى رجل من النافذة ! ما شاء الله ! قول صادق^(١)

بنيديك : ولكن يا بياتريس . . .

بياتريس : واهاً لهيرو الحسناء . لقد ظلمت

وافترى عليها وهدمت هدماً .

بنيديك : بياتريس . . .

بياتريس : أمراء وأشراف . ومن ذا يجادل في شهادة أمير ،

ويدحض قول كونت ؟ كونت حلاوة^(٢) ؟

رجل حلو ، شهم حقاً ... أو اه ... لو كنت رجلاً من أجله

أو كان لى فى الصحاب من يكون رجلاً من أجلى ،

ولكن الرجولة قد استحالت انحناءات ،

وانقلب الرجال ألسنة ، لا تقول إلا متلطفة .

وانقلبت الشجاعة ملقاً ، وزخرفاً ،

واستحال الناس ألسنة ، وألسنة مزخرفة .

(١) تردد التهمة متهمكة ساخرة .

(٢) تقول هذا سخريه وكل ما تقوله الآن عنه سخريه لازعة ولهذا أردفت فى وصفه

التهمى قولاً « رجل حلو » حقاً .

- وأمسى الشجاع فى مثل شجاعة
هرقل من يكذب ، ويحلف إنه لصادق .
وهيهات أن أكون رجلاً بمجرد أمنية ،
فلأمت إذن امرأة ذاهبة النفس حسرة وبكاء . . .
- بنيديك : بياتريس . مهلاً . أقسم بهذه اليد التى أمدتها لى أحبك !
بياتريس : استخدمها من أجل حبي فى شىء آخر غير الحلف بها .
بنيديك : هل تعتقدن فى أعماق نفسك أن الكونت
كلوديو قد ظلم هير و ؟
- بياتريس : نعم . لى لعل يقين بهذا كيقينى بنفسى التى بين جنبي .
بنيديك : حسبي هذا مبرراً . . . لك إذن عهدى ، ولى لمبارزه ،
دعنى ألتزم راحتك ثم أنصرف .
وحق هذه اليد^(١) لأحاسب كلوديو حساباً عسيراً .
وليكن ظنك فى قائماً على ما تسمعينه عنى .
اذهبي لتواسى ابنة عمك ،
لا بد لى أن أقول إنها قد ماتت . والآن . وداعاً . . .
(يخرجان)

(١) يدها هى .

المنظر الثانى

السجن

يدخل دوجبرى وفارجس والكاتب^(١) وهم فى أرديتهم .
والحرس ومعهم كونزاد و بوراشيو

- | | |
|-----------|--|
| دوجبرى : | هل اكتمل عقد شتاتنا |
| فارجس : | مقعداً ووسادة لحضرة الكاتب . |
| الكاتب : | ومن الجناة ؟ |
| دوجبرى : | أقسم لإنهما أنا وزميلي هذا |
| فارجس : | هذا مؤكد ... نحن الذين أذن لنا أن نتولى الاستجواب. |
| الكاتب : | ولكنى أسأل من الجناة الذين يراد استجوابهم . |
| | أحضرهم أمام حضرة الضابط . |
| دوجبرى : | نعم أحضرهم أمامى . ما اسمك يا صاح . |
| بوراشيو : | بوراشيو . |
| دوجبرى : | اكتب من فضلك اسمه — بوراشيو . وأنت يا مولاي ؟ |
| كونزاد : | أنا سيد يا حضرة . . . واسمى كونزاد . |

(١) دعواه الكاتب ولكنه فى الأصل « القتلقت » أو المنوط بالقناديل .

- دوجبرى : اكتب - الرئيس السيد كونراد .
- اسمع أنت وصاحبك هل تخدمان الله ؟
- كونراد } (مأ) نرجو ذلك يا سيدى
بوراشيو }
- دوجبرى : اكتب . إنهما يرجوان أن يكونا فى خدمة الله .
- وابدأ بالله أولاً . ومعاذ الله يتقدم عليه هذان الشقيان .
- يا أيها السيدان . لقد ثبت فعلاً أنكما لافرق بينكما
- وبين الأوغاد الخائنين -
- وهذا ما سيظهر عاجلاً ، فها أقوالكما ؟
- كونراد : أقولنا يا سيدى أننا لسنا كما وصفت
- دوجبرى : ألا ما أعجب ذكاءك سأعرف كيف أحيط به .
- تعال هنا أيها الإنسان أسرّ إليك كلمة ؛ لقد قلت إنكما
- وسدان خائنان .
- بوراشيو : وأنا أقول لك إننا لسنا كذلك .
- دوجبرى : إذن ... قف فى ناحية . والله إنهما لمتفقان على كلام
- واحد يقولانه . هل كتبت عندك أنهما ليسا كذلك .
- الكاتب : ليست هذه هى طريقة التحقيق .
- إن عليك أن تحضر الحراس الذين اتهموهم .

دوجبرى : أى والله . هذه أيسر طريقة . أحضروا الحرس فى الحال .

أيها الحرس أطلب إليكم باسم الأمير
أن توجهوا الاتهام إلى هذين الرجلين .

الحارس ١ : إن هذا الرجل يا سيدى قال
إن دون جون أخا الأمير . وغد أقيم .

دوجبرى : اكتب أن الأمير جون وغد أقيم .
هذه وحدها خيانة صريحة . أفتصف أخا الأمير بالوغد .

بوراشيو : يا حضرة الضابط . . .

دوجبرى : أرجوك يا حضرة . . . أن تسكت
وأؤكد لك أن نظراتك لا تعجبني .

الكاتب : وماذا سمعته يقول أيضاً .

الحارس ٢ : سمعته والله يقول إنه أخذ ألف دوقية من دون جون
لاتهام السيدة هير و ظلماً .

دوجبرى : مؤامرة صريحة ما بعدها مؤامرة .

فارجيس : وحق عشاء الرب إنها لكذلك .

الكاتب : وماذا أيضاً ؟

الحارس : وأن الكونت كلوديو أقسم بشرفه أنه سيظهر هير و

أمام الجميع كله ، وأنه لن يرتضيها زوجاً له .

دوجبرى : يا للشقى . سيحكم عليك بعقاب مؤبد نظير هذا القول .

ف - ٤

١٨٢

- الكاتب : اوماذا أيضاً ؟
- الحارس : هذا هو كل شيء .
- الكاتب : وهو أيها السيدان أكثر مما تستطيعان إنكاره ،
- فإن الأمير جون غادر البلد بخفية في صباح اليوم .
- واتهمت ميرو فعلاً على هذا النحو ،
- ورفض القران بها ، على هذه الصورة ،
- فعاجلها الموت فجأة من فرط الحزن .
- يا حضرة الضابط مر بشد وثاق هذين الرجلين ،
- واستيقهما إلى دار ليوناتو وسأسبقك إليه
- لأعرض التحقيق عليه . (خروج)
- دوجبري : هيا أوثقوهما .
- فارجس : وضعوا الأغلال في أيديهما .
- كونراد : بعداً لك أيها المأفون .
- دوجبري : لي الله . أين الكاتب
- ليدون قوله عن خادم الأمير مأفون .
- هلموا شدوا منهما الوثاق . . . أيها الوغد الأثيم .
- كونراد : بعداً لك . . . إنك لحمار . . . إنك لحمار .
- دوجبري : ألا تحترم مركزي ، ألا توقر سني .
- ليت الكاتب هنا ليكتب أني حمار .

ولكن تذكروا يا سادة أننى حمار
 وإن لم يدون هذا فى المحضر .
 لا تنسوا أننى « حمار » .
 كلا أيها الشقى إنك لملء ثوبك شرّاً وغدراً ،
 وسيثبت ذلك عليك بأقوال الشهود الصادقين ،
 إننى رجل عاقل ، وأكثر من هذا ضابط ،
 بل أكثر من ذلك رب بيت ،
 وأكثر من أولئك لإنسان مهذب
 كخير من احتوتهم مسينا .
 ورجل يعرف القانون .
 وميسر الحال ، دعنى أقل لك ،
 وامرؤ كسب فى حياته وخسر .
 وله رداءان لا رداء واحد .
 وعنده كل ما يسر ويرضى هلموا خذوه .
 . . ليتنى كتبت فى المحضر « حماراً » .
 (يخرجون)

الفصل الخامس المنظر الأول

أمام دار ليوناتو
يدخل ليوناتو وأنطونيو

أنطونيو : إنك لمود بحياتك إذا استرسلت على هذا النحو ،
وليس من الحكمة أن تعين الحزن على نفسك هكذا .
ليوناتو : أناشدك أن تكف عن نصحك ،
لأنه يقع في أذني موقع الماء في الغربال لا يجدي شيئاً .
لا تنصحنى ولا تحاول أن تسرى غنى .
وجئنى بمن تشبه فجيعة فجيعة ،
جئنى بأب أحب ابنته جبي ،
وكان فرحه بها عظيماً مثل فرحي ،
ودعه يحدثنى عن الصبر ،
ويقس مصابه طويلاً وعرضاً بمصابي ،
ويوازن بين حزنه وحزنى . وخطبته وخطبتي .
من كل ناحية ، ووجه . وشكل . وصورة .
فإن رأيت ييتسم . ويمسك بلحيته^(١) ليتكلم
قل عندئذ للحزن توار .

(١) حركة يديها المره حين يشعر بأنه قد انتهى إلى كلام بديع سيقوله .

واطلب إلى الأسى أن يزول .
 فإن شهادته ين أنيناً ، فخفف الحزن عنه بالحكم والأمثال .
 واغمر أصحاب الخطوب الكبار
 بأقوال العاكفين على الكتب ليل نهار .
 فلتأتنى به إن استطعت لآخذ عنه الصبر .
 ولكن هذا الرجل لا وجود له .
 لأن الناس يا أخى ينصحون ويواسون
 في الخطوب التي لا يشعرون هم بها .
 فإذا ذاقوا من صابها انقلبوا ثائرين ،
 وكانوا من قبل
 يقدمون الحكم والمواعظ علاجاً من كربتها .
 وما مثلهم في هذا إلا كمثل من يقيد المجنون الهائج
 بخيوط من حرير . ويزيل الألم بالنفخ فيه ،
 ويعالج العذاب الألم باللفظ .
 كلا . كلا . لقد جبل الناس جميعاً على التحدث عن
 الصبر إلى من ينوعون بحمل الأسى .
 ولكن هيهات لا مرئ أن يسدى هذه النصائح
 إذا هو نفسه ذاق المصائب .
 فلا تنصحنى إذن . إن أحزاني أجهر صوتاً من النصائح .

- أنطونيو : لا فرق إذن بين الرجال والأطفال .
- ليوناتو : أناشذك أن لا تكلمنى . إننى إنسان من لحم ودم .
- وما رأينا يوماً حكيماً
استطاع أن يحتمل ألم الضرر صابراً .
وإن شهدنا الفلاسفة والحكماء
يكتبون أروع الكتب ويتوخون أبدع الأساليب ،
ويستخفون بصروف الدهر والأحزان .
- أنطونيو : ولكن لا تلق التبعة كلها على كاهلك وحدك ،
بل دع الذين ظلموا يحملوا منه نصيبهم كذلك .
- ليوناتو : ها أنت ذا تقول حقاً . أجل . إني لفاعل .
فإن نفسى تحدثنى أن هير و قد ظلمت .
وسيعلم هذا كلوديو ، وسيعرفه الأمير
وجملة الذين افتروا عليها وثلّموا عرضها .
- أنطونيو : ها هوذا الأمير وكلوديو قادمان مسرعين .
- (يدخل دون بدر و كلوديو)
- دون بدر : طاب صباحك . طاب صباحك .
- كلوديو : طاب يومكما جميعاً
- ليوناتو : استمعا إلى أيها الأميران .
- دون بدر : إننا فى عجلة ، يا ليوناتو

- ليوناتو : في عجلة يا مولاي . أدعو لك بالتوفيق يا سيدى ،
متعجلان الآن . هذا شىء لا يهمنى .
- دون بدرو : لا تشتجر معنا أيها الشيخ الكريم .
أنطونيو : لو استطاع بالشجار أن ينتصف لنفسه .
لهوى بعضنا من عليائه
- كلوديو : ومن الذى ظلمه ؟
ليوناتو : قسما إنك أنت الذى ظلمتنى . أيها المرائى . . . أيها . . .
حذار . . . لا تضع يدك على مقبض سيفك .
فلانى أخافك .
- كلوديو : شلت يمينى . إن هى أخافت شيخاً فى مثل سنك ،
يمين الله ، ما أرادت كفى ، أن تصنع شيئاً لسينى .
- ليوناتو : أف لك يا رجل . أف لك . وحسبك .
لا تسخر منى ولا تهزأ بى .
فلانى لست فيما أقول مخرفاً وما أنا بما أفون .
ولا أنا بمستغل سنى للتفاخر
بما فعلت فى الفتوة والشباب ،
أو أستطيع فعله لو لم أكن شيخاً مسنّاً .
إلا فاعلم يا كلوديو صراحة ،
أنك ظلمت ابنتى البريئة وظلمتنى .

وإني لمضطر أن أطرح وقارسني جانباً ،
وأدعوك للمبارزة وإن كان رأسى قد اشتعل شيباً ،
وإن كنت قد تلقيت كثيراً من الجراح .
أكرر القول إنك قد ظلمت ابنتى البريئة ،
ومزقت يافكك قلبها تمزيقاً ،
فهي الساعة ترقد إلى جانب آبائها ،
فى قبر ما رقدت فيه الفضيحة يوماً من الأيام ،
خلا هذه القرية التى نسج الكيد لها الخيوط !

كلوديو : كيدى أنا ؟

ليوناتو : أجل . كيدك أنت يا كلوديو ، كيدك أنت

دون بدرو : أخطأت الصواب أيها الشيخ .

ليوناتو : مولاي . مولاي .

سأثبت صدق قولى فوق جثته ،

إذا هو اجتراً على مناجزتى ،

رغم براعته فى فنون المجالدة ،

ودريته الطويلة عليه ، وريع شبابه ، وعنوان بأسه .

كلوديو : أغرب غنى . ليس لى بك شأن .

ليوناتو : أتجرؤ على تنحيتى ؟ لقد قتلت ابنتى .

فإن تقتلى يا فى تقتل رجلا .

أنطونيوس : بل سيقتلنا نحن الاثنين . أو سيقتل رجلين حقاً .

ولكن هذا ليس بأمر ذى بال ، دعه يقتل أحدهما أولاً ،
خذنى وألبسنى ^(١) . دعه يبرز لى .

أقبل يا غلام واتبعنى . هلم يا سيدى الغلام . اتبعنى .
فإنى سائطك من عليائك فرديك ^(٢)

أى والله إنى لفاعل ، فعلة الرجل المذهب الشريف .

ليوناتو : أخى . . .

أنطونيوس : هدى روعك . الله يعلم كم أحببت ابنة أخى .

فجاء الكيد الحسيس فقتلها . كيد الأوغاد اللثام ،

فليجروا على الخروج لرجل ،

جرأتى على الإمساك بثعبان من لسانه ،

يا للصبيان ، ويا للقردة ، ويا للمتباهين ،

والمهاذير والبله الأغبياء الضعفاء . .

ليوناتو : أخى أنطونيوس . . .

(١) يظهر أن هذا مثل كان معروفاً فى تلك الأيام ، وهو مركب من فعلين من أفعال

الامر يبدأ كل منهما بحرف (w) ويقابلها فى العربية حروف « و » .

ولعله يقال فى معرض « التحدى » أى أن كنت ماهراً فلتنجب أولاً كيف تنالنى ، ثم اقل بى
بعد ذلك ما تشاء .

(٢) فى الأصل جاء شكسبير هنا باصطلاح كان معروفاً يومئذ فى فن اللعب بالسيف

ولعل المراد به من موقف التحصن الفنى الذى ستقفه وهى تهكم من أنطونيوس ببراعته .

أنطونيو

: لا تثر . . . تكلم يا رجل ، إني أعرفهم .
وأعرف موازينهم ، وأقدارهم ، إلى أصغر أجزائها .
لأنهم غلطة مغرورون صفيقو الوجوه ،
إخوان حذقة وزخرف ،
كل همهم الكذب والمين والسخرية والفساد والكيد ،
لأنهم ليشون بين الناس مهرجين ،
ويكثرون من التهديد والوعيد .
ويتحدثون عن شجاعتهم في منازلة الخصوم ،
ومقارعة الأعداء إذا جرءوا على لقاءهم ،
هذا هو كل ما عندهم .

ليوناتو

: ولكن يا أخى أنطونيو . . .

أنطونيو

: لا تراع . ولا تتدخل . دعنى لهذا الأمر وحدى .

دون بدرو

: أيها السيدان . . . لن نستفزكما .

إن فؤادى لحزون لموت ابتك .

ولكنى أقسم بشرفى أنها لم تنتهم ،

إلا بما وقع حقاً ، وقام عليه الدليل القاطع .

ليوناتو

: مولاي ! مولاي !

دون بدرو

: لن أستمع لك .

ليوناتو

: لن تستمع لى . هلم يا أخى . سأعرف كيف أسمعهما قولى !

- أنطونيو : وسيستمع أو ليهلكن بعضنا لهذا السبب
(يخرج ليوناتو وأنطونيو)
دون بدرو : انظر . انظر ! ها هو ذا الرجل الذى كنا نبحت عنه .
(يدخل بنيديك)
كلوديو : ما وراءك يا سنيور ؟
بنيديك : طاب يومك يا مولاي .
دون بدرو : مرحباً يا سنيور . لو تقدمت لحظة لكدت تشترك في مبارزة .
كلوديو : لقد كدنا نفقد أنفينا في مجالدة مع شيخين ترمت أسنانهما .
دون بدرو : ليوناتو وأخوه . فما رأيك . أحسبنا أن فعلنا ،
أصغر من أن نقاتلهم ، . . .
بنيديك : لاكرامة ولا منة في معركة ظالمة . لقد جئت أبحث عنكما .
كلوديو : لقد بحثنا عنك في كل مكان لأننا مكتئبان أشد الاكتئاب .
ونريد أن تطرد الهم عنا . فهلا استخدمت فكاهتك ؟
بنيديك : هب في غمد سيفي . فهل أسحبه ؟
دون بدرو : أتضع عقلك في جنبك ؟^(١)
كلوديو : ما فعلها أحد من قبل . وإن رأينا خلقاً كثيرين
قد اطرخوا عقولهم جانباً .

(١) يبدو من لحظة دخول بنيديك أنه جاء غاضباً يريد الاحتكاك بكلوديو وهو هنا يتحدث عن سيفه ولكن الأمير اتخذ الأمر هزواً . فضى يسأله متكباً هل وضع عقله في جنبه أى حيث يضع السيف .

ولكنى قائل لك ما أقول لجماعة العازفين والمنشدين ،
اسحب لتطربنا^(١) .

دون بدرو : فى الحق إنه ليلوح شاحب الوجه .
أمريض أنت أم مغضب ؟

كلوديو : ماذا بك . الشجاعة يا رجل ! ولئن قتل الهم الهرة ،
فلا يزال لديك قدر من خفة الروح يكنى لقتل الهم^(٢) .

بنيديك : إذا أنت وجهت فكاهتك إلى ،
فإنى ملاق الطعنة السريعة بمثلها أو أشد .

أناشدك أن تختار موضوعاً غير هذا .

كلوديو : بل اعطوه ربحاً آخر فقد انكسر بالعرض ربحه^(٣)
دون بدرو : وحق هذا النهار^(٤) إن لونه يزداد امتقاعاً .

أحسبه فى سورة غضب شديد .

(١) أى اصحب آلة المزف من صندوقها أو كيسها لتزف ، وهذا رد ساخر من قول
بنيديك أنه سيسحب السيف من قرابه .

(٢) فى أمثال الإنجليز . كم قتل الهم هرة . كناية عن مبلغ أذى الهم وأثره فى النفوس ،
ولكن كلوديو هنا قلب المثل والمعنى أن خفة روحك كفييلة بقتل الهم .

(٣) إذا انكسر ربح مبارز من عرضه كان هذا عيباً ومذمة له ولكنه إذا انكسر نصله
طولا فلا بأس وكل هذه استعارات من المجادلة بالربح والسيف يريد كلوديو منها أن بنيديك
منهزم أمامه .

(٤) قسم مألوف فى تلك الأيام . وهو اقتصار من قسم آخر ، ونعنى به وحق الضياء
الذى خلقه الله .

- كلوديو : إن كان كذلك . فهو يعرف كيف يقلب حزامه (١) .
- بنيديك : هل تسمح لي بهمسة في أذنك ؟
- كلوديو : حماني الله من المشاجرة !
- بنيديك : (منتحياً بكلوديو ناحية) - أنت وغد ، أقولها جداً ألا هزلاً ،
وسأدلل على صحتها إن كنت تجترئ . وبأى شيء تجترئ .
وحين تجترئ ، فاقبل هذا التحدى مني .
وإلا أعلنت جبنك . لقد قتلت سيدة كريمة .
وسيقع وزر مماتها على رأسك .
دعني أسمع منك متى نلتقي .
- كلوديو : ليكن ما تريد . سألاقيك حتى أستمع بمنعة طيبة .
- دون بدرو : ماذا ؟ أدعوة إلى مأدبة ، مأدبة ؟!
- كلوديو : يعين الله ، إنني له شاكر . فقد دعاني إلى رأس عجل ودجاجة .
فإن لم أبرع في تقطيعهما البراعة كلها
فقل إن سكينى مثل ولا يقدر .
ألن أجد على المائدة أيضاً دجاجة من دجاج الراج (٢) .

(١) قلب الحزام إنما يكون عند الاستعداد للشجار أو المبارزة حتى يصبح قلبه الأمامي عند ظهر لابس .

(٢) مهد الأمير بسؤاله « أدعوه إلى مأدبة » لنكتة لاذعة من كلوديو وهي أن خصمه دعاه إلى رأس عجل ودجاجة . ثم مضى مع زرايته به يتابع الاستعارة بالسكين المثلث إذا لم يحسن القطع وخرج من ذلك إلى نكتة أخرى وهي سؤاله خصمه هل سيجد أيضاً على المائدة طائراً آخر .

- بنيديك : إن النكتة يا سيدى مسعفتك .
- دون بدرو : إني لمنبتك بما مدحت بياتريس به مجانتك منذ أيام .
- قلت لها إنك ذوفكاهة ، قالت حقاً ولكنها قليلة محدودة .
- بل عظيمة قالت حقاً عظيمة خشنة .
- قلت كلا . بل حسنة رقيقة . قالت تماماً . فلا تؤذى أحداً
- قلت كلا إن السيد عاقل حكيم ، قالت هذا صحيح
- إنه مدعى الحكمة ادعاء .
- قلت إنه ينطق بعدة ألسن^(١) قالت هذا ما أعتقده .
- فقد حلف على شيء ليلة الاثنين
- وحدث في حلفه صباح الثلاثاء .
- هذا لسان مزدوج . أو قل لسانان .
- وهكذا لبثت ساعة تشوه مزايك ،
- وانتهت آخر المطاف بقولها وهى ترسل زفرة
- إنك أملح رجل فى إيطاليا كلها .
- كلوديو : وعندئذ بكت من كل قلبها وقالت إنها لا تحفل بك .
- دون بدرو : أجل . هذا ما قالت ، ولكنها قالت مع ذلك
- إنها إذا لم تتمتته إلى حد الموت
- فهى تحبه إلى حد الإعزاز .

(١) إشارة إلى معرفته عدة لغات . ولهذا جمعنا اللسان هنا على أسن لا على إسنه .

- لقد نبأتنا ابنة الشيخ بكل شيء .
- كلوديو : بكل شيء ، ولا تنس كذلك أن الله رآه حين كان مختبئاً في الحديقة^(١) .
- دون بدرو : ولكن متى ستنبئ قرون العجل الوحشي ، في رأس بنيديك العاقل^(٢) .
- كلوديو : أي نعم . وضع هذه الكلمات تحت الصورة « هنا يسكن بنيديك البعل » .
- بنيديك : إلى اللقاء يا فتي . أنت عارف ما أقصده .
- وإني لتاركك الآن لثرتك وفكاhtك السمجة .
- إنك لتكسر النكت كما يكسر الأدعياء الثرثارون سيوفهم . وهي بحمد الله لا تؤذى ولا تجرح .
- وأنت يا مولاي . إني لشاكر لك صنائعك الكثير ، ومننك الغر ، فإني مضطر إلى التخلي عن رفقتك .
- إن أخاك النغل قد فر من مسينا .
- وقد اشركتما في قتل سيده بريئة كريمة .

(١) مأخوذ من التوراة في سفر التكوين ، الإصحاح الثالث العدد العاشر وهو قول آدم لربه « سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأنني عريان فاخترت » .

(٢) أي متى سزوج . وهو قول أراد به تذكير بنيديك بما قاله عن كراهيته للزواج من قبل .

وأما هذا المولى الأمرد فسألتني به . .
وإلى أن نلتقي . . . سلام عليكم !

(يخرج)

دون بدرو : إنه يجحد .

كلودييو : أشده الجلد . أؤكد لك أن هذا مرده إلى حب بياتريس .

دون بدرو : ولقد دعاك إلى المباراة .

كلودييو : أصدق ما تكون الدعوة .

دون بدرو : ما أحق الرجل الذي يستر بجسده صدره وجوربه ،
ويتجرد من عقله^(١) .

كلودييو : وهو في هذه الحال إذا قيس بالقرد ، عملاق ،

ولكن القرد إذا قيس به ، حكيم^(٢) .

دون بدرو : ولكن لنكف عن هذا ودعني أستجمع فؤادي لنأخذ في

(١) أى أنه مجنون فيما يفعل ، وفي الأصل ، الرجل الذى يمشى فى صدره وجورب ويدع العقل عارياً أو يخلع العقل عنه .

(٢) هذه العبارة وسابقتها محيرتان وقد شرحها أحد المفسرين اجتهداً بقوله ما أعجب حال الرجل الذى يركب حصانه وهو مرتد صدره منتعل حذائه الطويل . تاركاً عقله مع ردائه المخلوع إنه ليلوح فى هذه الحال بطلا فى عين الأحمق أو الأبله لأن القرد هنا هو المأفون أو العايب المهذار ، ولكن هذا فى الحقيقة وسيلة صالحة أو دواء مفيد يجعله يضحك من نفسه ويتبين حماقته .

الجد^(١) ألم يقل إن أخى قد فر ؟
 (يدخل دوجبرى وفارجس والحراس ومعهم كوزاد و بوراشيو)
 دوجبرى : تعال هنا يا سيد . وإذا لم تقلم العدالة أظافرك . فلن ترجح
 كفتها يوماً فى الميزان^(٢) .
 وإذا كنت يوماً منافقاً شتماً لعينا ،
 فلا بد من النظر فى أمرك .
 دون بدرو : ماذا أرى . رجلان من أتباع أخى موثقان .
 وهذا بوراشيو أحدهما ؟
 كلوديو : لصنع إلى أقوالهما وألقى بالك إلى سماع تهمتها يا مولاي .
 دون بدرو : أيها الضباط . ما الذى ارتكبه هذان الرجلان ؟
 دوجبرى : قسما يا سيدى . لقد شهدا زوراً فضلاً عن قول الكذب ،
 وثانويًا^(٣) لهما مفتريان .
 و « سادساً » وأخيراً لهما قالاً إفكاً فى حق سيدة . وثالثاً
 لهما قررا أموراً فرية ، وفى الختام
 لهما من الكذابين الأوغاد اللثام .

(١) يقصد لنطرح جانباً جميع المسائل الصغيرة ولننتبه إلى مواجهة مسائل خطيرة .
 (٢) فى الأصل « إذا لم تروضك العدالة » فلن تحمل فى ميزانها بعد اليوم زبياً وقد
 نطقها هذا الجاهل قاتلاً « أسباباً » لأنها فى الإنجليزية ريزنس والزيب ريزنس وفى ترجمتها
 هكذا مناسبة .
 (٣) هكذا نطق بها وهو يقصد طبعاً أن يقول « ثالثاً » .

دون بدرو : ألا - أسألك ماذا فعلا ؟ و « ثالثاً » ما ذنبهما ؟ -

و « سادساً » وأخيراً لماذا قبضت عليهما ؟

وفي الختام بأي شيء تتهمهما ؟

كلوديو : أحسنت السؤال . وأجدت التفصيل على الطريقة ذاتها ،

والحق أنك أتيت بالمعنى الواحد في عدة صور .

دون بدرو : إلى من أسألتما أيها السيدان حتى ربطوكما بأقوالكما^(١)

على هذا النحو ؟

إن هذا الشرطي العالم لأعلم من أن يفهم . نبشأن ما تهمتكما .

بوراشيو : أيها الأمير الكريم . لا تدعني أمعن في القول واستمع لي

وأذن للكونت في قتلي .

لقد أضللت عينيك ذاتهما ، ولكن ما عجزت حكمتك

عن كشفه ، قد فضحه هؤلاء المعاتيه السذج ،

فقد استرقوا علينا السمع ليلاً ، وأنا أعترف لصاحبي هذا

بأن أخاصكم دون جون حرضني على الوشاية بالسيدة هير و .

وكيف سيق بك إلى الخديقة فرأيتني أتغزل في مرجريت

وهي في زى هير و .

ومضيت تشهر بها بينما كان عليك أن تراها زوجاً .

وقد دون هؤلاء الأشرار تفاصيل جنائبي .

(١) تعبير جميل عن تقييدهما هكذا .

- وإني لأوثر أن أختمها بموتى ،
على ما ينالنى من العار بترديدها .
لقد ماتت السيدة نتيجة فعلتى ، وفرية سيدى ،
ولست أبغى غير جزاء الوغد الأثيم لى عقاباً .
دون بدرو : ألا يجرى هذا القول كنصل السيف فى دمك ؟
كلوديو : لقد كان سماً شربته وهو يفوه به .
دون بدرو : ولكن هل أخى هو الذى حرصك على هذا الجرم ؟
بوراشيو : نعم . وأجزل لى العطاء على تنفيذه .
دون بدرو : لقد طبع على الغدر وركبت الخسة فيه .
وها هوذا قد فر عقب أن اقترف جريمته .
كلوديو : أواه . يا هير و المحببة . إن صورتك لتبدو الساعة
فى تلك المعالم النادرة التى أحببها أول مرة .
دوجبرى : هلموا عودوا بالمجرمين . ولا بد أن يكون كاتبنا قد أبلغ^(١)
السنيور ليوناتو الآن بجلية الأمر وأنتم يا سيدان، لا تنسيا
فى الوقت والمكان المناسبين أن تقررا أنى ... حمار ...
فارجس : ها هوذا السيد السنيور ليوناتو قادم، والكاتب أيضاً ...
(يدخل ليوناتو وأنطونيو ومعهما الكاتب)

(١) انظر إلى قوله « كاتباً » فهى على هذا التفضيم مضحكة وقد نطق بكلمة « أبلغ »
informed محرفة فقال أى أصلح .

- ليوناتو : أيها الشقي الأثيم . . . دعوني أر عينيه ٥
لكي أتحاشي مَن يشبهه ،
إذا التقيت به . أي هذين الرجلين هو ؟ . .
- بوراشيو : إن أردت أن تعرف الذى بغى عليك فانظر إلى .
ليوناتو : أأنت العبد الذى قتلت « بوشايتك »^(١)
ابنتى البريئة الطاهرة ؟
- بوراشيو : نعم أنا وحدى .
ليوناتو : كلا . ليس الأمر كذلك أيها الشقي . إنك لظالم لنفسك
فهاهما هذان سيدان شريفان ،
ومعهما ثالث لاذ بأذيال الفرار .
إننى أيها الأميران لشاكر لكما مصرع ابنتى ،
فلتدونا في سجل ما تركما المحيطة السامية .
لقد فعلتماه بشجاعة إذا كنتم تذكرا .
- كلوديو : لست أدري كيف أطلب إليك صبراً .
ولكن لا مفر لى من الكلام . فلتختر بنفسك وسيلة تترك ،
وافرض على ما يبتكره خيالك من عقاب^(٢) ،
جزاء الذنب الذى اقترفته .
وإن كنت لم أقترفه إلا عن خطأ .

(١) فى الأصل بأنفسك والمعنى بأقوالك ووشايتك .

(٢) فى الأصل ما تبتكره أو نحو ذلك .

دون بدرو : ونفسي التي بين جنبيّ . إنني أيضاً قد اقترفته عن خطأ .
ولكنني مرضاة لهذا الشيخ الكريم ،
مُتَمَتِّعَةً بِبَلِّ أَى عَمَّاب هو فارضه .
ليوناتو : ليس في إمكاني أن أطلب إليكما أن تردا
ابنتي إلى الحياة لأن هذا مستحيل .
ولكنني أناشذكما أن تعلنا على الملائ في مسينا
أنها ماتت طاهرة الذيل .
وإن هَذَا كما وحى الشاعرية إلى مرثية ،
فعلقاها على قبرها ؛ وغنياها لعظامها . أنشداها الليلة .
فإذا كان صبح الغد فتعاليا إلى داري .
وما دمت لا تستطيع أن تكون لابنتي زوجاً ،
فلتكن زوجاً لابنة أخي ،
فإن لأخني ابنة — تكاد تكون صورة أخرى لفقيدي .
وهي وريثتنا الوحيدة أنا وأخي^(١)
فاخلع عليها من الحقوق ،
ما كنت موشكاً أن تخلعه على ابنة عمها .

(١) لعل هذا سهو من شكسير فقد نسي أن لأنطونيو ولداً كما أورد في المشهد الثاني
من الفصل الأول على لسان ليوناتو حين سأل أخاه « وأين ابن أخي ولدك » . أو لعل هذا الولد
مات بعد ابتداء القصة فأصبحت ابنة أخيه هي الوريثة دون سواها . أو لعل مجرد إغراء وإن لم
نكن صريحاً .

وكذلك تزول ترقى^(١) وتشفى موحدي ،

كلوديو : أيها السيد الكريم :

إن حنانك للبالغ لينتزع من عينيّ الدمع انتزاعاً ،
وإني لمنقبل ما عرضت ،

فافعل بعد الآن بكلوديو المسكين ما أنت فاعله .

ليونانو : وإذن فإنني مرتقب غداً مقدمكما .

وأما الليلة فاستأذنكما ،

وسنواجه هذا الرجل الخبيث بمجرى

التي أعتقد أنها ورطت في هذا الإثم

الذي استأجرها أخوك له .

بوراشيو : كلا . ونفسي التي بين جنبي لأنها لم تشترك فيه ،

ولم تـورط ولم تكن تعرف شيئاً حين كلمتني ،

وعهدى بها أبدأ الوفية الفاضلة .

دوجيري : وفضلاً عن هذا يا سيدي ،

إن هناك شيئاً آخر لم يسجل في كتاب ،

وهو أن هذا الجاني^(٢) المائل أمامكما سماني حماراً ،

ورجائي أن تذكروا ذلك عند تقرير عقوبته .

(١) ترة على وزن سنة من الأسن هي السبب الموجب للثأر أو الموحدة .

(٢) سماء في الأصل « الشاكي » كما وصفه هو . وزميله كذلك في موضع سابق .

وقد سمعهما الحرس أيضاً يتحدثان
عن شخص يدعى « المشوه » .
ويقولان إنه يلبس « مفتاحاً » في أذنه
ويعلق قفلاً به^(١) .
ويستقرض الناس باسم الله ويكرر القروض ولا يردها ،
حتى قست قلوب الناس فلم يعودوا يقرضون الله شيئاً .
أناشدكما أن تبحثا في هذه النقطة .

- ليوناتو : أشكر لك عنايتك وهمتك .
دوجبري : إن سيادتك تتكلم كأحسن الشباب ،
شكراً وتقديراً وأنا أحمد الله إليك .
ليوناتو : خذ جزء عنائك .
دوجبري : ليبارك الله لصاحب هذا البيت^(٢) .
ليوناتو : اذهب وأنا معفيك من سجينك وشاكر لك .
دوجبري : لأنني تارك لديك شقيقاً ضالاً . وأرجو أن تقتص
لنفسك منه ليكون عبرة لغيره .

(١) وردت هذه الحكاية في الفصول السابقة حين ظن الحارس أن كلمة « المشوه » هي اسم شخص معين . ورتب على هذا الظن معرفته للص يسمى بهذا الاسم ذاته .
(٢) نطق هنا بكلمة foundation أى الأساس ولكن المعنى هو ما أوردناه أى المؤسس
أو رب البيت ، وقد كان من عادة المتسول إذا أعطى صدقة وهو عند باب الكنيسة أن يدعو لمنشأها بالخير .

ليحفظك الله . وأتمنى لك الخير . ورد الله إليك العافية .
وبكل خشوع أستأذنك في الانصراف^(١) .
وأدعو الله أن أراك في أحسن الأوقات . هلم بنا أيها الجار .
(يخرج دوجبرى وفارجين)

ليوناتو : وداعاً أيها الموليان إلى صباح غد .
أنطونيو : وداعاً أيها السادة ، إننا في انتظاركما غداً .
دون بدرو : لن نتخلف .
كلوديو : سأقضي الليلة في التفجع والأسى على هيرو ،
ليوناتو : (إلى الحرس) سيروا بهذين ،
الرجلين حتى نتحدث إلى مرجريت ،
لنعلم كيف عرفت هذا الوغد الأثيم .
(ينصرفون)

(١) كل هذه العبارات جاءت منه محرفة وكلها أغلاط في مبنائها . حتى في كلمة
أستأذنك . قالها أعطيك الأذن في الانصراف . وقوله أدعو الله تبدو أقرب إلى قولة « العياذ بالله »
أو أرجو الله أن يمنع ذلك .

المنظر الثاني

حديقة دار ليوناتو

يدخل بنيديك ومرجريت فيلتقيان^(١)

بنيديك : أرجوك يا عزيزتي مرجريت أن تسديني صنيعاً ولك عليه
أحسن الجزاء . أعينيني على التحدث إلى يياتريس .
مرجريت : هل ستكتب لي أغنية تنزل فيها بجمالي إن أنا فعلت ؟ . .
بنيديك : في أبدع أسلوب لا يأتي إنسان بشيء فوقه يا مرجريت ،
لأنك والحق يقال ، تستحقين هذا المديح .
مرجريت : أتقول إن إنساناً لن يأتي بشيء فوق . . . يعني أنني سأظل
دائماً تحت السلم^(٢) .

(١) هذا المنظر لم يكن ضرورياً ولكن شكسبير جاء به للانتفاع بالفترة التي ستسبق
زيارة دون بدرو وكلوديو « قبر » هيرو تلبية لدعوة أبيها . وفي هذا المشهد يلتقي بنيديك
بمرجريت فيطلب إليها أن تدعو يياتريس . وعندئذ يبدأ بين هذين العاشقين حوار بديع ندرك
منه مدى تطور العلاقة بينهما .

(٢) أخذتها الجارية على معنى آخر ، فقالت هل سأبقى خادماً « أي تحت السلم » فلا
تزوج في يوم من الأيام .

- بنيديك : إن النكتة لديك سريعة كقلب الصيد. حين يلقط...^(١)
- مرجريت : ونكتتك مثلمة « كسيف » اللالع .
- تصيب ولكن لا تجرح .
- بنيديك : نعيم النكتة وما أخلقها أن تصدر من رجل يا مرجريت ،
- لأنها لن تجرح امرأة ،
- ولهذا أناشدك أن تنادى بياتريس . لأننى أسلم لك دروعى .
- مرجريت : هات لنا السيوف ، فلدينا دروعنا^(٢) .
- بنيديك : إذا استخدمتها يا مرجريت فاربطى الرماح بالمنجلة لأنها
- أسلحة خطيرة على الفتيات^(٣) .
- مرجريت : سأدعو لك بياتريس . إن لها ساقين تسير عليهما .
- بنيديك : ومن أجل هذا ستجىء .
- (ينى) يا إله الحب ، يا من تجلس فى عل ،
- أنت العليم بأنى للشفقة مستحق . . .^(٤)

(١) أى تلتقطين النكتة بالسرعة ذاتها الى يلتقط بها كلب الصيد الأرنب وهو يطارده .

(٢) أى أنها أحسن ما تكون النكتة من رجل لأنها تجرح امرأة وقوله لها « إننى أسلم دروعى » استمارة يريد بها أن يقول إنه منهزم أمام مكتبها وكان ردها أن لدينا دروعاً ولكن ليست لدينا السيوف فهى التى نقصنا معاشر النساء .

(٣) أى بمسار محدد لكيلا يحدث أذى .

(٤) هذا مطلع أغنية قديمة لا شك فى أنها كانت معروفة تغنى على المسارح فى عهد المؤلف وقد وضعها ويليام الدرتون ولم يبق منها اليوم غير قطعة تسمى « شكوى آثم » .

أعنى في الغناء .

أما في الحب فإن لياندر^(١) السباح الماهر ،
وترويلاس^(٢) أول من استعان في الهوى بالرسل والوسطاء ،
وسائر معاشر الفرسان الجُلوس على الأبسط^(٣) ،
وتجار الكلام الذى تملأ أسماؤهم كتاباً كاملاً .
وتجرى سهلة هينة في طريق الشعر المرسل . .
فلم يغلبهم الحب على أمرهم ، قدر ما غلبنى -
ولم يستحوذ عليهم مثل ما استحوذ على خاطرى .
يميناً لأننى لعاجز عن وصف حبي شعراً :
ولطالما حاولت فلم أجِد في القوافى كلمة ،
على وزن « سيدة » غير « وليدة » ،

(١) لياندر عاشق هير و كاهنة فينيوس ربة الجمال وكان من عادته أن يسبح ليلاً
لزيارتها ثم يعود قبل مطالع النهار . ولكنه في ذات ليلة والريح عاصفة هلك في سبيل تنفيذه
عهده وهو زيارتها كل ليلة . وقد ألقى اليم بحشته على الساحل فلم يكن من حبيبته هيرو إلا أن
وثبت إلى اليم فكانت من المغرقين .

(٢) أحد أبناء الملك بريام عاهل طروادة وقد أحب كريسيدا ابنة الكاهن كانشاس
وهى ألمانية أسرها الطرواديون . وقد استعان على التعرف بها بعمه بانداراس ومن هناك الوسيط بين
الرجل والمرأة .

(٣) غمزة في الفرسان الذين يجلسون في الأهاء وقاعات الجلوس المفروشة بالبسط
يتحدثون عن فعاظم والوقائع التي خاضوها . وإن كان مكانهم المارك وميادين القتال .

ولا وقعت من الأوزان الصادقة غير المتكلفة للفظه « سخرية »
 إلا على « قرون ملتوية » ،
 ولا لكلمة « مدرسة » غير « ذى لوثة » ،
 إن الشعر للمعون الخواتيم ،
 كلا لا أحسبني ولدت وفي طالعي أنى سأكون ناظماً
 للقوافي ، ولا أنا على الغزل بالكلام المنمق قدير^(١) .

(تدخل بياتريس)

- بنيديك : يا عزيزتي بياتريس — أَرْضِيتِ المحبَّاءَ حين دعوتك ؟
 بياتريس : نعم يا سنيور ، وسأُنصَرِفُ حين تأمرني .
 بنيديك : أواه ، فلتَمَكُّثِي إلى هذا الحين^(٢) .
 بياتريس : لقد قَلَّماها ، فوداعاً الآن ،
 ولكن قبل أن أذهب دعني أنصَرِفُ بالذي جئتُ له ،
 وهو أن أعرف ما الذي جرى بينك وبين كلوديو .
 بنيديك : كلمات كريهة ليس أكثر . وعليها سأقبَلُك .
 بياتريس : الكلمات الكريهة كالريح الكريهة ، والريح الكريهة
 إن هي إلا الأنفاس الكريهة ، وهذه خبيثة مستكرهة .

(١) يصف شكسبير هنا البناء الذي يحده في الاهتمام إلى كلمات تصلح للقوافي والرد
 وهو في هذا يأتي بكلام لطيف ليخرج منه إلى القول بأنه لم يولد شاعراً .
 (٢) أي حتى أمرك .

ولهذا سأنصرف من غير أن أقبل .

بنيديك : لقد أخفت الكلمة ذاتها فأخرجتها من عقلها^(١) ،

إن فكاهتك لقوية شديدة . ولكنى مصارحك الحقيقة :

إن كلوديو مرتبط بالتحدى الذى وجهته إليه ،

فلما أن أتلقي قريباً جوابه ، أو أعلن أنه نذل جبان ،

والآن أناشدك أن تنبئنى أى

مساوى حملتك أولاً على حى ؟

بياتريس : كلها مجتمعة ، فقد احتفظت بحال من السوء جعلها

لا تقبل أية حسنة تختلط بها .

وأنت خبرنى أى محاسنى حملك أولاً

على أن « تعانى » حى ؟

بنيديك : « أعانى » الحب ! . كلام جميل . إننى أعانى الحب حقاً

لأننى أحبك رغم إرادتى .

بياتريس : على كره من قلبك . . . وأسفاه لهذا القلب المسكين . .

إذا كنت له كارهاً من أجل . فإنى له كارهة من أجلك .

لأننى لن أحب أبداً ما يكرهه صاحبي .

بنيديك : أنا وأنت من فرط العقل بحيث لا تقدر على غزل رقيق .

بياتريس : ولكن هذا العقل المفرط لا يبدو فى هذا الاعتراف ،

(١) أى من معناها الأصل .

ولن تجد بين عشرين رجلاً ،
رجلاً واحداً يمدح نفسه كما فعلت .

بنيدك : تلك حكمة قديمة ، جد قديمة يا بياتريس ، وجدت
حين كان الناس صالحين لا يحسد بعضهم بعضاً ، إن المرء
إذا لم بين الآن قبره قبل مماته ، فلن يحيا في الذاكرات
أطول أمداً مما يستغرقه دق النواقيس بمنعاته ، وبكاء
الأرملة لوفاته .

بياتريس : وكم يطول هذا في ظنك ؟

بنيدك : هذا هو السؤال ، ساعة في دق أجراس ورنين ، وبعض
ساعة في بكاء وأنين ، فن الخير للعاقل أن يعلن عن
فضائله كما أعلن أنا عنها ، وذلك إذا لم يحل شيء بين
الإنسان طعمة الديدان^(١) وبين هذا الإعلان .

— وحسبي ، هذا في مديح نفسي الجديرة
في شهادتي لها بكل مديح وثناء .
والآن تبشّئيني كيف حال ابنة عمك ؟

(١) أحد المسميات الغريبة التي أولع شكسبير بابتكارها . وقد مرت بك منها أمثلة ،
وهو هنا يسمى الإنسان « دن ويرم » أي السيد دودة وقد رأينا أن نجعلها كما ترى « طعمه
للديدان » كأحسن تسمية للإنسان .

- بياتريس : جده عليلة .
- بنيديك : وكيف حالك أنت . . .
- بياتريس : جده عليلة كذلك .
- بنيديك : اتقى الله وأجيبني وأسأليه لنفسك صلاحاً ،
والآن أتركك لأنى أرى إنساناً قادماً نحونا مسرعاً .
(تدخل أورسولا)
- أورسولا : مولاتى — تعالى إلى عمك ، إن فى البيت حركة
قلما شاهدت مثلها .
- لقد ثبت أن مولاتى هير و قد اتهمت زوراً وبهتاناً ،
وأن الأمير وكلوديو ضللاً ضللاً مبيئاً ،
وأن دون جون أسّ هذا البلاء كله قد فرهارباً .
هلمى إليه فى الحال .
- بياتريس : ألا تأتى لتسمع هذا النبأ يا سنيور .
- بنيديك : سأحيا فى قلبك ، وأموت فى حجرك ، وأدفن فى عينيك ،
وإلى جانب هذا كله سأذهب معك إلى عمك .
(يخرجون)

المنظر الثالث

في الكنيسة

يدخل دون بدر و كلوديو وثلاثة أو أربعة
يحملون شموعاً

كلوديو : أهذه هي مقبرة آل ليوناتو ؟

أحدهم : نعم يا مولاي .

كلوديو : (يقرأ في رق مسطور)

« ذهبت ضحية ألسنة السوء ،

هيرو التي ترقد في هذا المكان ،

فإن الموت إنصافاً لنا من الظلم الذي حاق بها ،

قد وهبها مجداً لن يموت .

وكذلك راحت الحياة التي ماتت بعار

تحيا في الموت بمجد وفخار .

قفوا على هذا القبر وترحموا عليها .

واذكروا محاسنها . إذا انعقد لسانى فلم أجد كلاماً .

ويا أيتها الموسيقى اعزنى واصدحى سلاماً
وانشدى أغنيتك المقدسة لحناً وأنغاماً

أغنية

يا ربة الليل^(١) صفحاً وغفراناً
للذين قتلوا فارسك العذراء^(٢) ؛
وجاءوا من حول قبرها طائفين
ليغنوا غناء المكروب الحزين
ويا أيها الليل البهيم أعنا على الآئين .
وحسرات المتحسرين .
ويا قبور تئابي ، وانظري موتاك
إلى أن يُنادى بالموت مهزوماً ملحدوراً .
كلوديو : والآن طاب ليل أعظمك ، وإني لمعاهلك
أن أقف كل عام وقفتي هذه بقبرك . .
دون بدرو : طاب صباحكم أيها السادة ، أطفئوا مشاعلكم .
إن الذئاب قد فرغت من الفتك بقريساتها ، وانظروا ،

(١) هي ديانا ربة العفاف والصيد . وكانت تدعى أيضاً ربة القمر .

(٢) أى هيرو التي أصبحت بعد موتها بفضل عفافها « فارسة » في خدمة ديانا .

إن الصبح حول مراكب فيبوس طائف^(١)
يرقط المشرق الوسنان ببقع شهب .
شكراً لكم جميعاً . واتركونا . . وداعاً .
كلديو : طاب نهاركم أيها السادة ، وليأخذ كل منكم سبيله .
دون بدو : هلم بنا من هذا المكان . لنرتدى ثياباً غير هذه الثياب ،
ونذهب إلى دار ليوناتو .
كلديو : ويا إله القران . أسرع بنا الآن إلى حظ أسعد
من الذى . منا تؤدى له هذه التحية محزونين .
(يخرجون)

(١) إشارة إلى الإله فيبوس وهو يقود مركبة الشمس كل يوم من المشرق إلى المغرب ،
وقد سميت هذه العبارة عبارة أخرى وهي أن النهار قد طلع والذئاب قد انتهت من الفتك بفريساتها
لأنها لا تهاجم إلا ليلاً .

المنظر الرابع

في إحدى حجرات دار ليوناتو
يدخل ليوناتو وأنطونيو وبنيديك وبياتريس
ومرجريت وأوسولا والقس فرانسيس وهير و

- القس : ألم أقل لك إنها بريئة ؟ . .
- ليوناتو : وكذلك الأمير وكلوديو اللذان اتهماها
على أساس الفرية التي سمعنا نتحدث عنها .
ولكن بعض الذنب واقع على مرجريت في هذا الأمر
وإن أتى على غير إرادتها .
كما يبدو من مجرى التحقيق وتتابعه .
- أنطونيو : إنني لمغتبط بأن الأمر انتهى بخير .
- بنيديك : وأنا كذلك . وإن كنت برأ بعهد عاهدته
قد دعوت الفتى كلوديو إلى الحساب على فعلته .
- ليوناتو : والآن . يا ابنتي ، ويا أيتها السيدات كلكن ،
اذهبن فانفردن بأنفسكن في حجرة أخرى .

- وحين أدعوكن ، تعالين مخفيات وجوهكن .
 (تخرج النساء)
 لقد وعدنى الأمير وكلوديو أن يزوراني فى هذا الموعد
 وأنت يا أخى تعرف الدور الذى ستضطلع به .
 وهو أن تكون أباً لابنة أخيك .
 وتسلمها للفتى كلوديو .
- أفلونيو : وإنى لفاعل ذلك قوى العزيمة مطمئناً .
 بنيدك : أيها القس . أرانى مضطراً إلى طلب معونتك .
 القس : وماذا تريد أن أفعل يا سيدى ؟
 بنيدك : أحد أمرين ، إما أن تربطنى أو تفكنى^(١)
 الحق يا سيد ليوناتو الكريم
 إن ابنة أخيك تنظر إلى بعين الرضى .
 ليوناتو : إن هذه العين هى التى أعارتها لإياها ابنتى .
 هذا هو الحق المبين .
 بنيدك : وأنا بعين الحب أودى حقها على .
 ليوناتو : أحسبى أنا الذى أخذت بصر هذه العين منه ،
 كما أخذته من كلوديو والأمير^(٢) ولكن ما مشيتك ؟
-
- (١) أى تزوجى ياتريس أو لا تزوجى .
 (٢) أى الفضل لنا نحن الثلاثة فى هذا الأمر إشارة إلى ما فعلوه بالحيلة فى سبيل تحبيب
 ياتريس وتحبيبه إليها كما مر بك .

- بنيديك : إن جوابك يا سيدى كاللغز مستغلق .
 أما عن مشيئتك فهى مشيئتك ،
 وهى أن توافق على ارتباطنا اليوم
 برباط قران شريف لا عائب عليه ولا ذام ،
 وأرجو منك أيها القس التقى المعونة عليه .
- ليوناتو : إن قلبي معك .
 القس : ومعوتى لك .
 ها هوذا الأمير وكلوديو قادمان .
 (يدخل دون بدرو وكلوديو واثنان أو ثلاثة آخرون)
- دون بدرو : صباحاً مباركاً لهذا الجمع الكريم .
 ليوناتو : صباحاً أيها الأمير وعم صباحاً يا كلوديو .
 إننا هنا فى انتظاركما . ألا تزال معتماً
 الاقتران اليوم بابنة أخى ؟ .
- كلوديو : سأبر بعهدى ، ولو كانت حيشية .
 ليوناتو : ادعها يا أخى . وها هوذا القس على استعداد
 (يخرج أنطونيو)
 دون بدرو : عم صباحاً يا بنيديك . ما خطبك
 ومالى أرى وجهك كأنه فى شهر فبراير ،

ف -

يلوح بارداً قائماً مليئاً بالجليد والعواصف والسحب الثقيل ؟

كلوديو : أحسبه يفكر في الفصل الهائج

ولكن اطمئن يا رجل ولا تخف ،

فستُخطي طرفي قرنيك بالذهب .

ونجعل « يورويا » بأسرها تلهو بك ،

كما همت يورويا من قبلك بجوبيتر الشديد البأس ،

حين تمثل الوحش الكريم في الحب^(١) .

يتيليك : ولكن الفصل جوبيتر يا سيدى كان له حوار رفيق ،

وأما أنت فإن فحلاً غريباً وثب على بقرة أبيك ،

فأولدها بهذه الفعلة الكريمة عجلاً

أشبه شئاً بك لأن لك عين ثغائه .

كلوديو : هذه واحدة سأحاسبك عليها .

وها هي ذى أمور تتطلب التسوية .

(يمد أنطونيوس والسيدات ومن مقنعات)

أيهن الغانية التي ستكون لى ؟

أنطونيوس : ها هي ذى . وأنا واهبك إياها .

كلوديو : إنها إذن لى . . . دعيني أنظر بحياك أيتها الحسنة .

(١) إشارة إلى أن الخصومة التي بينه وبين كلوديو لا تزال قائمة ولهذا بدأ بتنديله

متجهماً في وجه كلوديو .

- ليوناتو : كلا . لن تفعل حتى تتناول يدها
- كلوديو : هاتى يدك . وأمام هذا القس الموقر ،
- هيرو : أنادى أننى زوجك إن رضيت بى زوجاً .
- هيرو : (تحسر القناع عن وجهها) ، يوم كنت بين الأحياء ،
- كنت زوجك الأخرى ،
- وحين أحبيت ، كنت زوجى الآخر .
- كلوديو : أهيرو أخرى . . . ؟
- هيرو : لا شىء أكثر توكيداً ،
- واحدة قضت بالإفك مدنسة ، أما أنا فأعيش ،
- ولا ريب فى أنى عذراء كما لا ريب فى أنى من الأحياء .
- دون بدرو : هيرو الأولى ! هيرو التى ماتت !
- ليوناتو : لم تمت يا مولاي إلا حين كانت القرية حية .
- القس : سأزيل هذه الحيرة كلها
- حين انتهى من مراسم القران المقدسة ،
- وسأشرح باستفاضة سر موت هيرو الحسناء .
- فدعوا العجب فى هذه الساعة ، واحسبوه من الأمور المألوفة
- وهلموا بنا من فورنا إلى الكنيسة .
- بنيديك : مهلاً أيها القس . مهلاً . أيهن بياتريس ؟ . .

٥ - ف

٢٢٠

- بياتريس : (حاسرة) هذا هو اسمي . فإذا تريد ؟
- بنديك : ألا تحبينني ؟
- بياتريس : كلا . ليس أكثر مما أحب العقل والحجى
- بنديك : عجباً . لقد كان عمك والأمير وكلوديو
مخدوعين حين أقسموا أنك تحبينني .
- بياتريس : أأنت تحبني ؟
- بنديك : في الحق . كلا . ليس أكثر مما أحب العقل والحجى .
- بياتريس : عجباً . لقد كانت ابنة عمي ومرجريت وأورسولا
مخدوعات كثيراً ، لأنهن أقسمن أنك تحبني .
- بنديك : لقد أقسمن بأنك في حبي مدلهة أو تكادين .
- بياتريس : وقد حلفن أنك تكاد من حبي تفارق الحياة .
- بنديك : لا شيء من هذا القبيل . إذن أنت لا تحبينني ..
- بياتريس : في الحق لا ، ولكن حب الصديق للصديق .
- ليوناتو : دعى عنك هذا يا ابنة أخى . إني لعلى يقين
بأنك تحبين السيد الكريم .
- كلوديو : وأنا أقسم أنه يحبها ،
وها هي ذى ورقة بخط يده ،
تحوى أغنية متكلفة فاضت بها قريحته ،

موجهة إلى بياتريس .

هيو : وها هو ذا كتاب آخر
بخط ابنة عمى سرق من جيبتها ،
تصف فيه حبها لبنيديك .

بنيديك : يا للمعجزة ! . . هاتان يدانا تشهدان على قلبينا . . .
اقبلي . فأني آخذك .

ولكن بحق هذا النهار إني آخذك إشفافاً عليك .

بياتريس : لست أرفض سؤالك . ولكن وحق هذا النهار المضى ،
إني ما رضيت بك إلا بعد حض كثير .

ولكى أنقذ حياتك ، فقد نُهِيت أن الحب أضمنك .

بنيديك : حسبك . . . سأغلق فلك . (يقبلها)

دون بدرو : ماذا صنعت بنفسك يا بنيديك الزوج . . . ؟

بنيديك : سأشرح لك أمرى أيها الأمير . قل لو اجتمع على حشد
من محترفي الفكاهة ليسخروا منى ،

ويستنفرونى مما أريد لما استطاعوا أن ينالوا من مأربهم شيئاً .

هل تحسبني أحفل بهجو شاعر ، أو سخرية ساخر ؟

كلا ، إذا المرء استخذى لقول القائلين

وفكاهة الفكهين ، فلن يجد حوله شيئاً جميلاً .

وجملة القول لأننى ما دمت قد أردت الزواج

فلن آبه بما يقول الناس فيه .

ولهذا لا تعبت بى ولا تدكرنى بما قلت عنه كارهاً له ،

فقد خلق الإنسان حولاً قلباً ،

وهذا هو كل ما عندى قلته .

وأما أنت يا كلوديو فقد كنت معترماً أن أقتلك ،

ولكن ما دمت ستصبح لى نسيباً ،

فعش سالماً وكن بابنة العم مغرماً .

كلوديو : لقد كنت أرجو أن تأبى على بياتريس ،

لكى أنتزع منك حياة الأعزب انتزاعاً ،

وأجعلك مرثياً ذا وجهين . وأنتك بلا ريب لتصبح كذلك

إذا لم تشدد ابنة العم الرقابة عليك .

بنيديك : حسبك . حسبك . إننا اليوم صديقان ،

فلنستمع برقصة قبل القران .

لنخفف عن قلوبنا وأعقاب زوجاتنا .

ليوناتو : سيأتى الرقص بعد :

بنيديك : يمينا ليكون أولاً . أيها الموسيقيون اعزفوا .

وأنت أيها الأمير أراك ساهماً . فاتخذ لك زوجاً .

اتخذ لك زوجاً .

٢٢٣

٢ - ٤

فما رأينا في العصي أجمل ولا أروع من عصا في آخرها قرن^٢

(يدخل رسول)

الرسول : مولاي الأمير ، لقد قبض على أخيك أثناء فراره

وجيء به إلى مسينا مخفوراً .

بنيديك : لا تفكر فيه إلا غداً .

وسأبتكر عقاباً له يليق به ،

اعزفوا أيها العازفون .

(يبدأ الرقص وفي ختامه ينصرفون)

| | |
|--------------------|----------------|
| ١٩٩٣ / ٨٥٠٠ | رقم الإيداع |
| ISBN 977-02-4233-0 | الترقيم الدولي |

١ / ٩١ / ٤٢٨
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

تمتاز مسرحيات شكسبير الخالدة بأنها نتاج عبقرية
مسرحية وعبقرية شعرية معاً، فقد جمع شكسبير بين
حسن درامى فذ وشاعرية فائقة بالإضافة إلى معرفة
بالنفس الإنسانية والسلوك الإنسانى بدرجة من
العمق والإتساع جعلت من كل مسرحياته صوراً
فنية رائعة للحياة الإنسانية.. حلوها ومرها..
ودار المعارف يسعدها أن تقدم للقارئ العربى
أعمال شكسبير مترجمة بقلم نخبة من عمالقة الفكر
والأدب فى العالم العربى لتكتسب بذلك روعة
التأليف ودقة الترجمة ومثمة القراءة.